

ابن عبد ربه

سحر البيان



سحر البيان

العقد الفريد

من أشهر المجموعات الأدبية عند العرب .
فيه ادب - وأقوال - ونوادر - وملح -
وتاريخ - وأخبار الخ . الخ . . .



سحر البيان

هو كتاب الزمردة الأولى من العقد ،

مضبوط ومشروح بقلم

كرم البستاني

الحق في الفريضة

لأبي عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه الاندلسي

892.708

I132ikaA

v. 10

c. 1

سحر البيان

مكتبة صادر
ببيروت

Cat. 26 Dec. 1952

الحقوق محفوظة لمكتبة صادر

كتاب الزمردة

في المواعظ والزهد

قال أحمد بن محمد بن عبد ربه : قد مضى قولنا في الأمثال ،
وما تَفَنَّنُوا فيه على كلِّ لسان ، ومع كلِّ زمان ، ونحن نبداً
بعون الله وتوفيقه ، بالقول في الزهد ورجاله المشهورين به ،
ونذكر المُنْتَخَلَ^١ من كلامهم ، والمواعظ التي وَعَظَتْ بها الأنبياء ،
واستَخْلَصَها الآباءُ للأبناء ، وجَرَّتْ بين الحكماء والأدباء ،
ومَقَامَاتِ العُبَّاد بين أيدي الخلفاء . فأبلغ المواعظ كلَّها كلام
الله تعالى الأعزُّ الذي لا يأتيه الباطلُ من بين يديه ولا من
خلفه تنزيلٌ من حكيم حميد .

قال الله تبارك وتعالى : « ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ
وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ » الى آخر السورة . وقال جل ثناؤه :
« كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ
يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ . » وقال :
« أَوَلَمْ يَرِ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ

١ المنتخل : المنقَّى ، المختار .

خَصِيمٌ مُبِينٌ » الى قوله « عَلِيمٌ ». فهذه أبلغُ الحُجَجِ وأحكمُ المواظ .

ثم مواظُ الأنبياء ، صلواتُ الله عليهم ، ثم مواظُ الآباء
للأبناء ، ثم مواظُ الحكماء والأدباء ، ثم مقامات العُبَّاد بين
أيدي الخُلَفاء . ثم قولهم في الزُّهد ورجاله المعروفين به ، ثم
المَشْهُورين من المُنْتَهِسِينَ إليه .

والموعظةُ ثَقِيلَةٌ عَلَى السَّمْعِ ، مُحَرِّجَةٌ عَلَى النَفْسِ^١ ، بَعِيدَةٌ
مِنَ الْقَبُولِ ، لاعتراضها الشَّهْوَةَ ، وَمُضَادَّةٌ لَهَا هَوَى ، الَّذِي هُوَ
رَبِيعُ الْقَلْبِ ، وَمَرَادُ الرُّوحِ ، وَمَرْبَعُ اللَّهْوِ ، وَمَسْرَحُ الْأَمَانِيِّ ،
إِلَّا مَنْ وَعَظَهُ عِلْمُهُ ، وَأَرْشَدَهُ قَلْبُهُ ، وَأَحْكَمَتْهُ تَجْرِبَتُهُ .

قال الشاعر :

لَنْ تَرْجِعَ الْأَنْفُسُ عَنْ غَيِّهَا ،
حَتَّى يُرَى مِنْهَا لَهَا وَاعِظُ

وقالت الحكماء : السَّعِيدُ مَنْ وَعَظَ بغيره ، لَا يَعْزُونَ
مَنْ وَعَظَهُ بغيره ، وَلَكِنْ مَنْ رَأَى الْعِبَرَ فِي غَيْرِهِ فَاتَّعَظَ بِهَا فِي
نَفْسِهِ . وَلِذَلِكَ كَانَ يَقُولُ الْحَسَنُ : اقْدَعُوا^٢ هَذِهِ النَفُوسَ

١ محرجة على النفس : مضيقه عليها .

٢ اقدعوا : كفوا .

فإنها طُلَعَة^١، وحادثوها بالذِّكْر^٢، فإنها سريعة الدُّثور، واعصوها
فإنها إن أُطِيعَتْ نَزَعَتْ إلى شَرٍّ غاية .

وكان يقول عند انقضاء مجلسه وختم موعظته : يا لها من
موعظة لو صادفت من القلوب حياة .

وكان ابن السَّمَاك يقول إذا فرغ من كلامه : أَلَسُنُّ
تَصِفُ ، وقلوب تعرف ، وأعمال تُخَالِفُ .

وقال يونس بن عُبيد : لو أمرنا بالجزع لَصَبَرْنَا ؛ يريد
ثِقَلِ الموعظة على السَّمْعِ ، وجُنُوحِ النفس إلى مُخَالَفتِها .

ومنه قولهم :

أَحَبُّ شَيْءٍ إِلَى الْإِنْسَانِ مَا مَنَعَا

وقولهم :

وَالشَّيْءُ يُرْغَبُ فِيهِ حِينَ يَمْتَنَعُ

والموعظة مانعة لك مما تشتهي ، حاملة لك على ما تكره ،
إلا أن تلقاها بِسَمْعٍ قد فَتَقَتْنَاهُ الْعِبْرَةَ ، وقلبٍ قد دَحَتَ فِيهِ
الْفِكْرَةَ ، ونفسٍ لها من عِلْمِهَا زَاجِرٌ ، ومن عقلها رَادِعٌ ،
فِيُفْتَحَ لَكَ بَابُ التَّوْبَةِ ، وَيُوضَّحُ لَكَ سَبِيلُ الْإِنَابَةِ .

١ طامة : كثيرة التطلع إلى الشيء .

٢ حادثوها بذكر الله .

قال النبي ، صَلَّى الله عليه وسلم : حَفَّتِ الْجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ ،
وَحَفَّتِ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ ؛ يريد أنَّ الطريقَ إِلَى الْجَنَّةِ احتمالُ
المَكَارِهِ فِي الدُّنْيَا ، وَالطَّرِيقَ إِلَى النَّارِ رُكُوبُ الشَّهَوَاتِ .

وخَيْرُ المَوْعِظَةِ مَا كَانَتْ مِنْ قَائِلٍ مُخْلِصٍ إِلَى سَامِعٍ مُنْصِفٍ .
وقال بعضهم : الْكَلِمَةُ إِذَا خَرَجَتْ مِنْ الْقَلْبِ وَقَعَتْ فِي
الْقَلْبِ ، وَإِذَا خَرَجَتْ مِنَ اللِّسَانِ لَمْ تُجَاوِزِ الْآذَانَ .

وقالوا : مَا أَحْسَنَ التَّاجَ ! وَهُوَ عَلَى رَأْسِ الْمَلِكِ أَحْسَنُ ؛
وَمَا أَحْسَنَ الدُّرَّ ! وَهُوَ عَلَى نَحْرِ الْفَتَاةِ أَحْسَنُ ؛ وَمَا أَحْسَنَ
المَوْعِظَةَ ! وَهِيَ مِنَ الْفَاضِلِ التَّقِيِّ أَحْسَنُ .

وقال زياد : أَيُّهَا النَّاسُ ، لَا يَمْنَعُكُمْ سُوءُ مَا تَعْلَمُونَ مِنْهَا
أَنْ تَذْتَفِعُوا بِأَحْسَنِ مَا تَسْمَعُونَ مِنْهَا .

قال الشاعر :

اعْمَلْ بِقَوْلِي ، وَإِنْ قَصَّصْتُ فِي عَمَلِي ،
يَنْفَعَكَ قَوْلِي ، وَلَا يَضُرُّكَ تَقْصِيرِي



وقال عبدُ اللهِ بنُ عَبَّاسٍ : مَا انْتَفَعْتُ بِكَلَامِ أَحَدٍ بَعْدَ
رَسُولِ اللهِ ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، مَا انْتَفَعْتُ بِكَلَامِ كُتْبِهِ إِلَى
عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ . كَتَبَ إِلَيَّ : أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنْ
الْمَرَّةَ يَسِرُّهُ إِدْرَاكُ مَا لَمْ يَكُنْ لِيَفُوتَهُ ، وَيَسُوءُهُ فَوْتُ مَا

لَمْ يَكُنْ لِيُدْرِكُهُ ، فَلَيْسَ كُنْ سُرُورُكَ بِمَا نِلْتَ مِنْ أَمْرٍ
آخَرَتِكَ ، وَلَيْسَ كُنْ أَسْفُكَ عَلَى مَا فَاتَكَ مِنْهَا . وَمَا نِلْتَ مِنْ
أَمْرِ دُنْيَاكَ فَلَا تَكُنْ بِهِ فَرِحًا ، وَمَا فَاتَكَ مِنْهَا فَلَا تَأْسَ عَلَيْهِ
جَزَعًا ، وَلَيْسَ كُنْ هَمُّكَ مَا بَعْدَ الْمَوْتِ .

وَوَقَفَ حَكِيمٌ بَبَابِ بَعْضِ الْمُلُوكِ ، فَحُجِبَ فَتَلَطَّفَ
بِرُقْعَةٍ أَوْصَلَهَا إِلَيْهِ . وَكُتِبَ فِيهَا هَذَا الْبَيْتُ :

أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفَقْرَ يُرْجَى لَهُ الْغِنَى ،
وَأَنَّ الْغِنَى يُخْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْفَقْرِ ؟

فَلَمَّا قَرَأَ الْبَيْتَ لَمْ يَلْبَثْ أَنْ انْتَعَلَ^١ وَجَعَلَ لَاطِئَةً^٢ عَلَى رَأْسِهِ
وَخَرَجَ فِي ثَوْبِ فَضَالٍ^٣ ؛ فَقَالَ لَهُ : وَاللَّهِ مَا اتَّعَظْتُ بِشَيْءٍ بَعْدَ
الْقُرْآنِ اتِّعَاضِي بَبَيْتِكَ هَذَا ؛ ثُمَّ قَضَى حَوَائِجَهُ .



١ انتعل : أدخل رجله في نعليه .

٢ لاطئة : قلنسوة أو نحوها مما يلبس بالرأس .

٣ الفضال : الذي يلبس في البيت ويبتذل للنوم .

موعظ الانبياء عليهم السلام

قال أبو بكر بن أبي شَيْبَةَ، يرفعه الى النبي، صلى الله عليه وسلم، قال: يكفي أحدكم من الدنيا قدرُ زادِ الرَّاكِبِ .
وقال صلى الله عليه وسلم: ابنَ آدَمَ، اغْتَنِمْ خَمْسًا قبل خمس: شبابَكَ قبل هَرَمِكَ، وصِحَّتَكَ قبل سَقَمِكَ، وغِنَاكَ قبل فَقْرِكَ، وفَرَاغَكَ قبل شُغْلِكَ، وحياتَكَ قبل مَوْتِكَ .

عبدُ الله بن سلام قال: لما قَدِمَ علينا رسولُ الله، صلى الله عليه وسلم، المدينة أتيتُهُ، فلما رأيتُ وجهه عَلمْتُ أنه ليس بوجهِ كَذَّابٍ، فسمعتُهُ يقول: أيها الناسُ، أَطْعِمُوا الطَّعَامَ، وَأَفْشُوا السَّلامَ، وصلُّوا والناسُ نيام .

وقال عيسى بنُ مَرِيَمَ، عليه السلام: أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِخَيْرِكُمْ مَجَالِسَةٍ؟

قالوا: بلى يا رُوحَ الله .
قال: مَنْ تَذَكَّرَكُمْ باللهِ رُؤْيَتُهُ، ويزيدُ في عَمَلِكُمْ مَنَظِقَهُ، وَيَشْهَدُكُمْ إِلَى الْجَنَّةِ عَمَلُهُ .

وقال عيسى بن مريم ، عليهما السلام ، للحواريين : ويلكم يا عبيد الدنيا ! كيف تُخالف فروعكم أصولكم ، وأهواؤكم عقولكم ، قولكم شفاء يبرئ الداء ، وفِعْلُكم داء لا يقبلُ الدواء ، لستم كالكرمَةِ التي حَسُنَ ورقها ، وطابَ ثمرُها ، وسَهْلَ مُرتقاها ، ولكنكم كالسَّمُرَةِ التي قَلَّ ورقُها ، وكثُرَ شوكُها ، وصَعِبَ مُرتقاها .

ويلكم يا عبيد الدنيا ! جعلتم العملَ تحت أقدامكم ، من شاءَ أخذه ، وجعلتم الدنيا فوق رؤوسكم ، لا يمكنُ تناولُها ، فلا أنتم عبيدُ نصحاء ، ولا أحرارُ كِرام .

ويلكم يا أَجْرَاءَ السَّوءِ ! الأجرَ تأخذون ، والعملَ تفسدون ، سوف تَلْقَوْنَ ما تحذرون ، إذا نظر ربُّ العملِ في عَمَلِهِ الذي أَفسدتم ، وأجرِه الذي أخذتم .

وقال عليه السلام للحواريين : اتَّخِذُوا المساجِدَ بُيُوتًا ، والبيوتَ مَنَازِلَ ، وَكُلُّوا بِقُلِّ البرِّيَّةِ ، واشربوا الماءَ القراحَ ، وانجُوا من الدنيا سامين .

وقال عليه السلام للحواريين : لا تنظروا في أعمال الناس كأنكم أرباب ، وانظروا في أعمالكم كأنكم عبيد ، فإنما الناسُ رجالان : مُبْتَلَى ومُعَافَى ، فارحموا أَهْلَ البلاء ، واحمدوا الله على العافية .

وقال عليه السلام لهم أيضاً : عَجَباً لَكُمْ تَعْمَلُونَ لِلدُّنْيَا
وَأَنْتُمْ تُرْزَقُونَ فِيهَا بِلا عَمَلٍ ، وَلَا تَعْمَلُونَ لِّلْآخِرَةِ وَأَنْتُمْ لَا
تُرْزَقُونَ فِيهَا إِلَّا بِعَمَلٍ !

وقال يحيى بن زكريا، عليه السلام، للمُكَدَّبِينَ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ :
يَا نَسْلَ الْأَفَاعِي ، مِنْ دَلَّكُمْ عَلَى الدُّخُولِ فِي مَسَاخِطِ اللَّهِ
الْمُؤَبَّقَةِ لَكُمْ ؟ وَيَلَّكُمْ ! تَقَرَّبُوا بِعَمَلٍ صَالِحٍ ، وَلَا تَغُرَّنَّكُمْ
قِرَابَتُكُمْ مِنْ إِبْرَاهِيمَ ، عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَإِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَسْتَخْرِجَ
مِنْ هَذِهِ الْجُنَادِ ١ نَسْلاً لَا إِبْرَاهِيمَ . إِنَّ الْفَأْسَ قَدْ وُضِعَتْ فِي
أَصُولِ الشَّجَرِ ، فَأَخْلِقَ بِكُلِّ شَجَرَةٍ مُرَّةَ الطَّعْمِ أَنْ تَقْطَعَ
وَتُلْقَى فِي النَّارِ .

وقال شُعَيْبٌ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ أَنْطَقَ اللَّهُ لِسَانَهُ بِالْوَحْيِ :
إِنَّ الدَّابَّةَ تَزْدَادُ عَلَى كَثْرَةِ الرِّيَاضَةِ لَيْناً ، وَقُلُوبُكُمْ لَا تَزْدَادُ
عَلَى كَثْرَةِ الْمَوْعِظَةِ إِلَّا قَسْوَةً ، إِنَّ الْجَسَدَ إِذَا صَلَحَ كَفَاهُ
الْقَلِيلُ مِنَ الطَّعَامِ ، وَإِنَّ الْقَلْبَ إِذَا صَلَحَ كَفَاهُ الْقَلِيلُ مِنَ
الْحِكْمَةِ . كَمْ مِنْ سِرَاجٍ قَدْ أَطْفَأَتْهُ الرِّيحُ ، وَكَمْ مِنْ عَابِدٍ
قَدْ أَفْسَدَهُ الْعُجْبُ .

١ الجنادل ، واحدها جندل : الصخر العظيم .

يا بني اسرائيل ، اسمعوا قولي ، فإن قائلَ الحِكْمَةِ وسامعها
شريكان ، وأولاهما بها مَنْ حَقَّقَهَا بعمله .

وقال المسيحُ ، عليه السلام : إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ
وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ، الَّذِينَ نَظَرُوا إِلَى بَاطِنِ الدُّنْيَا إِذْ نَظَرَ النَّاسُ
إِلَى ظَاهِرِهَا ، وَإِلَى آجِلِهَا إِذْ نَظَرُوا إِلَى عَاجِلِهَا ، فَأَمَاتُوا مِنْهَا
مَا خَشَوْا أَنْ يُمَيِّتَهُمْ ، وَتَرَكُوا مَا عَلِمُوا أَنْ سَيَتَرَكَهُمْ ، هُمْ
أَعْدَاءُ لِمَا سَالَمَ النَّاسُ ، وَسَلَّمُ لِمَا عَادَى النَّاسُ ، لَهُمْ خَبْرٌ ،
وَعِنْدَهُمُ الْخَبْرُ الْعَجِيبُ ، بِهِمْ نَطَقَ الْكِتَابُ وَبِهِ نَطَقُوا ، وَبِهِمْ
عُلِمَ الْهُدَى وَبِهِ عَلِمُوا ، لَا يَرَوْنَ أَمَانًا دُونَ مَا يَرْجُونَ ، وَلَا
خَوْفًا دُونَ مَا يَحْذَرُونَ .

وَهَبْ بَن مُنَبِّه قال : قال داودُ ، عليه السلام : يَا رَبِّ ،
ابْنُ آدَمَ لَيْسَ مِنْهُ شَعْرَةٌ إِلَّا وَتَحْتَهَا لَكَ نِعْمَةٌ ، وَفَوْقَهَا لَكَ
نِعْمَةٌ ، فَمَنْ أَيْنَ يُكَافِئُكَ بِمَا أُعْطِيَتْهُ ؟

فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ : يَا دَاوُدَ ، إِنِّي أُعْطِي الْكَثِيرَ ، وَأَرْضَى مِنْ
عِبَادِي بِالْقَلِيلِ ، وَأَرْضَى مِنْ شُكْرِ نِعْمَتِي بِأَنْ يَعْلَمَ الْعَبْدُ أَنَّ
مَا بِهِ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنْ عِنْدِي لَا مِنْ عِنْدِ نَفْسِهِ .

ولما أمر الله ، عز وجل ، إبراهيم ، عليه السلام ، أن يذبح ولده
ويجعله قرباناً ، أسرّ بذلك الى خليل له يقال له العازر ، وكان
له صديقاً ، فقال له الصديق : إن الله لا يبتلي بمثل هذا مثلك ،
ولكنه يريد أن يختبرك أو يختبر بك ، وقد علمت أنه لا
يبتليك بمثل هذا ليفتنك ، ولا ليضلّك ، ولا ليغنتك ، ولا
لينقص به بصيرتك وإيمانك ويقتينك ، فلا يرؤعنك هذا ،
ولا يسؤأن بالله ظنك ، وإنما رفع الله اسمك في البلاء عنده على
جميع أهل البلايا ، حتى كنت أعظمهم محنة في نفسك وكذلك ،
ليسرفعك بقدر ذلك في المنازل والدرجات والفضائل ، فليس
لأهل الصبر في فضيلة الصبر إلا فضل صبرك ، وليس لأهل
الثواب في فضيلة الثواب إلا فضل ثوابك ، وليس هذا من وجوه
البلاء الذي يبتلي الله به أوليائه ، لأن الله أكرم في نفسه
وأعدل في حكمه وأرحم بعباده من أن يجعل ذبح الولد الطيب
بيد الوالد النبي المصطفى ، وأنا أعوذ بالله أن يكون هذا مني
حتماً على الله أو ردّاً لأمره أو سُخْطاً لحُكْمه ، ولكن هذا
الرجاء فيه والظن به ، فإن عزّم ربك على ذلك فكُن عند
أحسن علمه بك ، فإنني أعلم أنه لم يعرضك لهذا البلاء الجسيم
والخطيب العظيم إلا لحسن علمه بك وصدقك وتصبرك ،
ليجعلك إماماً ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

من وحي الله تعالى

الى أنبيائه

أوحى الله ، عزّ وجلّ ، الى نبيّ من أنبيائه : إني أنا الله مالكُ
الملوك ، قلوبُ الملوك بيدي ، فمن أطاعني جعلتُ الملوك
عليهم رحمةً ، ومن عصاني جعلتُ الملوك عليهم نِقْمَةً .

وبما أنزل الله على المسيح ، عليه السلام ، في الإنجيل : شوقناكم
فلم تشاقبوا ، ونُحِنّا لكم فلم تبكوا . يا صاحبَ الخمسين ،
ما قدّمتَ وما أخّرتَ ؟ يا صاحبَ السّتين ، قد دنا حصادك ،
ويا صاحبَ السّبعين ، هلُمّ الى الحساب .

وفي بعض الكتب القديمة المنزّلة ، يقول الله ، عزّ وجلّ ، يومَ
القيامة : يا عبادي ، طالما ظمّتم ، وتقلّصت في الدنيا شفاهكم .
وغارت أعينكم عطشاً وجوعاً ، فكلّوا واشربوا هنيئاً بما
أسلفتم في الأيام الخالية .

وأوحى الله تعالى الى نبيّ من أنبيائه : هَبْ لي من قلبك
الخُشوع ، ومن نفْسك الخُضوع ، ومن عَيْنَيْكَ الدموع ،
وسلّني فأنا القريب المجيب .

وفي بعض الكتب : عبدي ، كم أُتَجَبَّبُ إليك بالنعم
وتتبعُضُ إليّ بالمعاصي ! خَيرِي إليك نازل ، وشرُّكَ إليّ صاعد .
وأوحى الله الى نبيّ من أنبيائه : إن أردتَ أن تَسْكُنَ غداً
حظيرةَ القدّس فكُنْ في الدنيا فريداً وحيداً ، طريداً مهموماً
حزيناً ، كالطير الوحْدانيّ يَظَلُّ بأرض الفلاة ، ويَرِدُ ماءَ
العيون ، ويأكل من أطراف الشجر ، فإذا جَنَّ عليه الليلُ أوى
وحدهُ استيحاشاً من الطير ، واستئناساً برَبِّه .



وبما أوحى الله الى موسى في التوراة : يا موسى بن عمران ،
يا صاحبَ جبل لبنان ، أنت عبدي وأنا الملك الديّان ، لا تستذلّ
الفقيرَ ، ولا تَغْبِطِ الغنيَّ بشيءٍ يسير ، وكُنْ عند ذكرِّي
خاشعاً ، وعند تلاوة وحي طائعاً ، أَسْمِعِنِي لذاذة التوراة
بصوت حزين .

وقال وهبُ بن مُنَبِّه : أوحى الله الى موسى عند الشجرة :
لا تُعْجِبْكَ زينةُ فِرْعَوْنَ ، ولا ما مُتَّعَ به ، ولا تَمُدَّنْ الى
ذلك عينك ؛ فإنها زهرة الحياة الدنيا ، وزينةُ المُتَشَرِّفينَ ؛ ولو
شئتُ أن أوتيكَ زينةَ يَعْلَمُ فِرْعَوْنُ حينَ ينظرُ إليها أن مقدرته
تعجزُ عنها فعلتُ ، ولكنتي أرغبُكَ عن ذلك ، وأزويتهُ عنك ؛
فكذلك أفعَلُ بأوليائي ، إني لأزودهم عن نعيمها ولذاذتها كما يذود

الراعي الشفيقُ غَنَمَهُ عن مراتع المَلَكَةِ ، وإني لأُحْمِيهِمْ
عَيْشَهَا وَسَلَوَاتَهَا^١ ، كما يَحْمِي الرّاعي ذَوْدَهُ عن مَبَارِكِ العُر^٢ .

وذُكِرَ عن وَهْبِ بنِ مُنَبِّهٍ : أنَّ يوسُفَ لما لَبِثَ في السِّجْنِ
بِضْعِ سَنِينَ أَرْسَلَ اللهُ جِبْرِيلَ إِيْلِهِ بِالْبِشَارَةِ بِخُرُوجِهِ ، فَقَالَ :
أَمَا تَعْرِفُنِي أَيُّهَا الصَّدِيقُ ؟

قال يوسُفُ : أَرَى صُورَةً طَاهِرَةً وَرُوحاً طَيِّباً لَا يُشْبِهُ
أَرْوَاحَ الْخَاطِئِينَ .

قال جِبْرِيلُ : أَنَا الرُّوحُ الْأَمِينُ ، رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ .
قال يوسُفُ : فَمَا أَدْخَلَكَ مَدَاجِلَ الْمُذْنِبِينَ ، وَأَنْتَ سَيِّدُ
الْمُرْسَلِينَ ، وَرَأْسُ الْمُقَرَّبِينَ ؟

قال : أَلَمْ تَعْلَمْ أَيُّهَا الصَّدِيقُ أَنَّ اللهَ يُطَهِّرُ الْبُيُوتَ بِطَهْرِ
النَّبِيِّينَ ، وَأَنَّ الْبُقْعَةَ الَّتِي تَكُونُ فِيهَا هِيَ أَطْهَرُ الْأَرْضِينَ ، وَأَنَّ
اللهَ قَدْ طَهَّرَ بِكَ السِّجْنَ وَمَا حَوْلَهُ يَا بَنَ الطَّاهِرِينَ ؟

قال يوسُفُ : كَيْفَ تُشَبِّهُنِي بِالصَّالِحِينَ ، وَتُسَمِّيَنِي بِأَسْمَاءِ
الصَّادِقِينَ ، وَتَمُدُّنِي مَعَ آبَائِي الْمُخْلِصِينَ ، وَأَنَا أُسِيرُ بَيْنَ هَؤُلَاءِ
الْمَجْرُمِينَ ؟

١ السَّلَوةُ : رِخَاءُ الْعَيْشِ .

٢ الذُّودُ : الْإِبِلُ . الْعُرُ ، وَاحِدُهَا الْإِعْرُ : الْجَمَالُ الْجَرْبُ .

قال جبريل : لم يَكَلِّمْ قَلْبَكَ الْجَزَع ، ولم يُغَيِّرْ خَلْقَكَ
 الْبَلَاء ، ولم يَتَعَاظَمَكَ السَّجَن ، ولم تَطْأَ فِرَاشَ سَيِّدِكَ ، ولم
 يُنْسِكَ بَلَاءُ الدُّنْيَا الْآخِرَةَ ، ولم يُنْسِكَ بَلَاءُ نَفْسِكَ أَبَاكَ ،
 ولا أَبوكَ رَبَّكَ ، وهذا الزَّمان الذي يَفُكُّ اللهُ فِيهِ عُنُقَكَ ،
 وَيَعْتِقُ فِيهِ رَقَبَتَكَ ، وَيَبَيِّنُ لِلنَّاسِ فِيهِ حِكْمَتَكَ ، وَيُصَدِّقُ
 رُؤْيَاكَ ، وَيُنْصِفُكَ مِنْ ظَلَمِكَ ، وَيَجْمَعُ لَكَ أَحِبَّتَكَ ، وَيَهَبُ
 لَكَ مُلْكَ مِصْرَ ، تَمْلِكُ مَلُوكَهَا ، وتُعَبِّدُ جَبَابِرَتَهَا ، وتُصَغِّرُ
 عِظَمَاءَهَا ، وَيُدِلُّ لَكَ أَعَزَّتَهَا ، وَيُخْذِمُكَ سُوقَتَهَا ، وَيُخَوِّلُكَ
 خَوَلَهَا ، وَيَرْحَمُ بِكَ مَسَاكِينَهَا ، وَيُلْقِي لَكَ الْمَوَدَّةَ وَالْهِيبَةَ فِي
 قُلُوبِهِمْ ، وَيَجْعَلُ لَكَ الْيَدَ الْعُلْيَا عَلَيْهِمْ ، وَالْأَثَرَ الصَّالِحَ فِيهِمْ ،
 وَيُؤَيِّرِي فِرْعَوْنَ حُلُمًا يَفْزَعُ مِنْهُ حَتَّى يَسْهَرَ لَيْلَهُ ، وَيُذْهَبَ
 نَوْمُهُ ، وَيُعَمِّيَ عَلَيْهِ تَفْسِيرَهُ وَعَلَى السَّحَرَةِ وَالْكَهَنَةِ ،
 وَيُعَلِّمَكَ تَأْوِيلَهُ .

مواعظ الحكماء

قال عليّ بن أبي طالب ، كرّم الله وجهه : أوصيكم بخمسة لو ضربتم عليها آباط الإبل لكان قليلاً : لا يَرْجُونَ أحدكم إلا ربّه ، ولا يَخَافَنَّ إلا ذنبه ، ولا يستحي إذا سئل عما لا يعلم أن يقول : لا أعلم . وإذا لم يَعْلَمْ الشيء أن يتعلّمه . واعلموا أن الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد ، فإذا قُطِعَ الرأس ذهب الجسد .

وقال أيضاً : من أراد الغنى بغير مال ، والكثرة بلا عشيرة ، فليتحول من ذلّ المعصية إلى عزّ الطاعة ، أباي الله إلا أن يُذلّ مَنْ عصاه .

وقال الحسن : مَنْ خاف اللهَ أَخَافَ اللهُ مِنْهُ كُلَّ شَيْءٍ ، وَمَنْ خَافَ النَّاسَ أَخَافَهُ اللهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ .

وقال بعضهم : من عَمِلَ لآخِرَتِهِ كَسَفَاهُ اللهُ أَمْرَ دُنْيَاهُ ، وَمَنْ أَصْلَحَ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللهِ أَصْلَحَ اللهُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّاسِ ، وَمَنْ أَخْلَصَ سِرِّيَّتَهُ أَخْلَصَ اللهُ عَلَانِيَتَهُ .

قال العُتْبِيُّ : اجتمعت العربُ والعجمُ على أربع كلمات ؛
قالوا : لا تَحْمَلَنَّ على قلبك ما لا يُطِيقُ ، ولا تعملَنَّ عملاً
ليس لك فيه مَنفعة ، ولا تَشِقْ بامرأة ، ولا تَغْتَرَّ بِمال
وإن كثر .

وقال أبو بكر الصّدِّيق لعُمَر بن الخطّاب ، رضي الله عنهما ،
عند موته حين استخلفه : أوصيك بتقوى الله ، إن الله عملاً
بالليل لا يَقْبَلُهُ بالنهار ، وعملاً بالنهار لا يَقْبَلُهُ بالليل ، وإنه لا
يقبل نافلة حتى تُؤدَّى الفرائض ، وإنما ثَقُلْتَ موازينُ مَنْ
ثَقُلْتَ موازينهم يومَ القيامة باتِّباعهم الحقَّ وثِقَلِهِ عليهم ، وحقُّ
الميزانِ لا يُوضَع فيه إلا الحقُّ أن يكون ثَقِيلاً ، وإنما خَفَّتْ
موازينُ مَنْ خَفَّتْ موازينهم يومَ القيامة باتِّباعهم الباطل في
الدُّنيا وخَفِفتَهُ عليهم ، وحقُّ الميزانِ لا يوضع فيه إلا الباطل
أن يكون خَفِيفاً .

وإن الله ذَكَرَ أَهْلَ الْجَنَّةِ فَذَكَرَهُمْ بِأَحْسَنِ أَعْمَالِهِمْ ،
وتجاوز عن سيئاتهم ؛ فإذا سمعتَ بهم قلتُ : إني أخاف أن لا
أكون من هؤلاء ؛ وذَكَرَ أَهْلَ النَّارِ بِأَقْبَحِ أَعْمَالِهِمْ ، وأمسك
عن حسناتهم ؛ فإذا سمعتَ بهم قلتُ : أنا خيرٌ من هؤلاء ؛
وذَكَرَ آيَةَ الرَّحْمَةِ مع آيَةِ الْعَذَابِ لِيَكُونَ الْعَبْدُ رَاغِباً رَاهِباً
لا يَتَمَنَّى على الله غيرَ الحق .

فإذا حفظت وصيَّتي فلا يكونَنَّ غائبٌ أحبُّ إليك من الموت ، وهو آتيك ؛ وإن ضيَّعت وصيَّتي فلا يكونَنَّ غائبٌ أكرهَ إليك من الموت ، ولن تُعجزه .



ودخل الحسن بن أبي الحسن على عبد الله بن الأَهم يعوده في مرضه ، فرآه يُصَوِّب بصره في صندوق في بيته ويُصعَّده ، ثم قال : أبا سَعيد ، ما تقول في مائة ألف في هذا الصندوق لم أُوَدَّ منها زكاةً ، ولم أَصِل منها رَحِمًا ؟

قال : ثَكَلَتِكَ أُمِّكَ ، ولمن كنتَ تَجْمَعُها ؟

قال : لرَوْعة الزمان ، وجَفوة السلطان ، ومُكَاثرة العشيرة .

قال : ثم مات ، فشهِدَهُ الحسنُ ، فلما فَرَغَ من دَفْنِهِ ، قال : انظروا الى هذا المسكين ، أتاه شيطانُهُ فحدَّره رَوْعة زمانه ، وجَفوة سُلطانهِ ، ومُكَاثرة عشيرته ، عما رزقه الله إياه وغَمَره فيه ، انظروا كيف خَرَجَ منها مَسْلُوبًا محروبًا ١ .

ثم التفتَ الى الوارث فقال : أيها الوارث ، لا تُخَدَعَنَّ كما خُدِعَ صَوَيْحْبُكَ بِالْأَمْسِ ، أتاكَ هذا المال حلالاً ، فلا يكونُ عليك وبالاً ، أتاكَ عفواً صفواً ، ممن كان له جَموعاً مَنوعاً ،

١ محروباً : مسلوب المال .

من باطل جَمَعه ، ومن حقٍّ مَنَعه ، قطع فيه لُجَجَ البحار ،
ومفاوِزَ القِفَار ، لم تَكُدَح فيه بِيَمِين ، ولم يَغْرَق لك فيه
جَبِين ، إِنَّ يومَ القيامة يومٌ ذو حَسَرَات ، وإن من أعظم
الحسرات غداً أن ترى مالك في ميزان غَيْرِكَ ، فيا لها عَشْرَة لا
تُقَال ، وتوبة لا تُنَال !

ووعظَ حَكِيم قوماً فقال : يا قوم ، استَبَدِلُوا العَوَارِيَّ
بالْهَبَاتِ تَحْمَدُوا العُقْبَى ؛ واستَقْبِلُوا المصائب بالصَّبْرِ تستَحِقُّوا
النِّعْمَى ، واستَدِمُوا الكَرَامَةَ بالشُّكْرِ تَسْتَوْجِبُوا الزِّيَادَةَ ،
واعرفوا فَضْلَ البَقَاءِ فِي النِّعْمَةِ ، والغِنَى فِي السَّلَامَةِ ، قبل
الْفِتْنَةِ الفَاجِشَةِ ، والمِثْلَةُ ١ البَيْنَةِ ، وانتقال العَمَلِ ، وحُلُولِ
الأَجَلِ ، فإنما أنتم في الدُّنْيَا أغراض المَنَايَا ، وأوطان البَلَايَا ، ولن
تَنَالُوا نِعْمَةً إِلَّا بِفِرَاقٍ أُخْرَى ، وَلَا يَسْتَقْبِلُ مُعَمَّرٌ مِنْكُمْ يَوْماً
من عُمُرِهِ إِلَّا بِانْتِقَاصٍ آخَرَ مِنْ أَجَلِهِ ، وَلَا يَحْيَا لَهُ أَثَرٌ إِلَّا مَاتَ
لَهُ أَثَرٌ . فَأَنْتُمْ أَعْوَانُ الحُتُوفِ عَلَى أَنْفُسِكُمْ ، وَفِي مَعَايِشِكُمْ أَسْبَابُ
مَنَايَاكُمْ ، وَلَا يَمْنَعُكُمْ شَيْءٌ مِنْهَا ، وَلَا يَشْغَلُكُمْ شَيْءٌ عَنْهَا . فَأَنْتُمْ
الْأَخْلَافُ بَعْدَ الْأَسْلَافِ ، وَتَكُونُونَ أَسْلَافاً بَعْدَ الْأَخْلَافِ ،
بِكُلِّ سَبِيلٍ مِنْكُمْ صَرِيحٌ مُنْعَفِرٌ ، وَقَائِمٌ يَنْتَظَرُ ، فَمَنْ أَيَّْ

وَجْهٍ تَطْلُبُونَ الْبَقَاءَ وَهَذَانِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ ، لَمْ يَرْفَعَا شَيْئاً
قَطُّ إِلَّا أَسْرَعَا الْكَرَّةَ فِي هَدْمِهِ ، وَلَا عَقْدَا أَمراً قَطُّ إِلَّا
رَجَعَا فِي نَقْضِهِ .

•
وَقَالَ أَبُو الدَّرْدَاءِ : يَا أَهْلَ دِمَشْقَ ، مَا لَكُمْ تَبْنُونَ مَا لَا
تَسْكُنُونَ ، وَتَأْمَلُونَ مَا لَا تُدْرِكُونَ ، وَتَجْمَعُونَ مَا لَا
تَأْكُلُونَ ؟ هَذِهِ عَادَةٌ وَثُودٌ قَدْ مَلَأُوا مَا بَيْنَ بُصْرَى وَعَدَنَ
أَمْوَالاً وَأَوْلَاداً ، فَمَنْ يَشْتَرِي مِنِّْي مَا تَرَكُوا بِدَرَاهِمٍ ؟

•
وَقَالَ ابْنُ شُبْرُومَةَ : إِذَا كَانَ الْبَدَنُ سَقِيماً لَمْ يَنْجَعْ فِيهِ
الطَّعَامُ وَلَا الشَّرَابُ ، وَإِذَا كَانَ الْقَلْبُ مُغْرَماً بِحُبِّ الدُّنْيَا لَمْ
تَنْجَعْ فِيهِ الْمَوْعِظَةُ .

وَقَالَ الرَّبِيعُ بْنُ خُثَيْمٍ : أَقْلِلِ الْكَلَامَ إِلَّا مِنْ تَسْعَ :
تَكْبِيرٍ وَتَهْلِيلٍ وَتَسْنِيحٍ وَتَحْمِيدٍ وَسُؤَالِكِ الْخَيْرِ وَتَعَوُّذِكِ
مِنَ الشَّرِّ وَأَمْرِكِ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهْيِكِ عَنِ الْمُنْكَرِ وَقِرَاءَتِكَ
الْقُرْآنِ .

•
قَالَ رَجُلٌ لِبَعْضِ الْحُكَمَاءِ : عِظْنِي . قَالَ : لَا يَرَاكَ اللَّهُ
بِحَيْثُ نَهَاكَ ، وَلَا يَفْقِدُكَ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكَ .

وقيل لحكيم : عِظْنِي . قال : جميعُ المواعظ كلها مُنْتَظِمَةٌ
في حرف واحد .

قال : وما هو ؟

قال : تُجْمَعُ على طاعة الله ، فإذا أنت قد حَوَيْتِ
المواعظ كلها .

وقال أبو جعفر لسُفْيَان : عِظْنِي . قال : وما عَمِلْتَ فيما
عَلِمْتَ فَأَعِظُكَ فيما جهلت ؟

قال هارون لابن السمّاك : عِظْنِي . قال : كَفَى بِالْقُرْآنِ
وَاعْظَاءً . يقول الله تبارك وتعالى : « أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَّ رَبُّكَ
بَعَادَ . إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ . الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ »
إلى قوله « فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ . إِنَّ رَبَّكَ
لَبِالْمِرْصَادِ . »

مكاتبة جرت بين الحكماء

عَتَبَ حَكِيمٌ عَلَى حَكِيمٍ ، فَكَتَبَ الْمَعْتُوبُ عَلَيْهِ إِلَى الْعَاتِبِ : يَا أَخِي ، إِنَّ أَيَّامَ الْعُمُرِ أَقْصَرُ مِنْ أَنْ تَحْتَمِلَ الْهَجْرَ . فَرَجَعَ إِلَيْهِ .

وَكُتِبَ الْحَسَنُ إِلَى عُمرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ : أَمَا بَعْدَ ، فَكَأَنَّكَ بِالدُّنْيَا لَمْ تَكُنْ ، وَبِالْآخِرَةِ لَمْ تَنْزَلْ ، وَالسَّلَامُ .
وَكُتِبَ إِلَيْهِ عُمرُ : أَمَا بَعْدَ ، فَكَأَنَّ آخِرَ مَنْ كُتِبَ عَلَيْهِ الْمَوْتُ قَدْ مَاتَ ، وَالسَّلَامُ .

ابْنُ الْمُبَارَكِ قَالَ : كُتِبَ سَلْمَانَ الْفَارِسِيِّ إِلَى أَبِي الدَّرْدَاءِ :
أَمَا بَعْدَ ، فَإِنَّكَ لَنْ تَنَالَ مَا تُرِيدُ إِلَّا بِتَوَكُّلٍ مَا تُشْتَهِي ، وَلَنْ تَنَالَ مَا تَأْمُلُ إِلَّا بِالصَّبْرِ عَلَى مَا تَكْرَهُ . فَلَيْكُنْ كَلَامُكَ ذِكْرًا ، وَصَمْتُكَ فِكْرًا ، وَنَظْرُكَ عِبْرًا ، فَإِنَّ الدُّنْيَا تَتَقَلَّبُ ، وَبِهِجَّتْهَا تَتَغَيَّرُ ، فَلَا تَغْتَوِّبْهَا ، وَلِيَكُنْ بَيْتُكَ الْمَسْجِدَ ، وَالسَّلَامُ .
فَأَجَابَهُ أَبُو الدَّرْدَاءِ : سَلَامٌ عَلَيْكَ ، أَمَا بَعْدَ ، فَإِنِّي أُوصِيكَ بِتَقْوَى اللَّهِ ، وَأَنْ تَأْخُذَ مِنْ صِحَّتِكَ لِسَقَمِكَ ، وَمِنْ شَبَابِكَ

لِهَرَمِكَ ، ومن فراغك لِشُغْلِكَ ، ومن حياتك لِمَوْتِكَ ، ومن
جَفَائِكَ لِمَوَدَّتِكَ ، واذكر حَيَاةً لا مَوْتَ فِيهَا فِي إِحْدَى الْمَنْزِلَتَيْنِ ،
إِمَّا فِي الْجَنَّةِ ، وَإِمَّا فِي النَّارِ ، فَإِنَّكَ لَا تَدْرِي إِلَى أَيِّهِمَا تَصِيرُ .

وكتب أبو موسى الأشعريّ إِلَى عامر بن عبد القيس : أما
بعد ، فَإِنِّي عَاهَدْتُكَ عَلَى أَمْرٍ وَبَلَّغْنِي أَنَّكَ تَغَيَّرْتَ ، فَإِن كُنْتَ
عَلَى مَا عَهَدْتُكَ فَاتَّقِ اللَّهَ وَدُمُ ، وَإِن كُنْتَ عَلَى مَا بَلَّغْنِي
فَاتَّقِ اللَّهَ وَعُدْ .

وكتب محمد بن النضر إِلَى أَخِي لَهُ : أما بعد ، فَإِنَّكَ عَلَى
مَنْهَجٍ ، وَأَمَامَكَ مَنْزِلَانِ لَا بَدَّ لَكَ مِنْ نُزُولِ أَحَدِهِمَا ، وَلَمْ
يَأْتِكَ أَمَانٌ فَتَطْمَئِنَّ ، وَلَا بَرَاءَةٌ فَتَتَّكِلَ .

وكتب حكيم إِلَى أَخِي : اعْلَمْ ، حَفِظَكَ اللَّهُ ، أَنَّ النُّفُوسَ
جُبِّلَتْ عَلَى اخْتِدِ مَا أُعْطِيَتْ وَمَنْعِ مَا سُئِلَتْ ، فَاحْمِلِهَا
عَلَى مَطِيَّةٍ لَا تُبْطِئُ إِذَا رُكِبَتْ ، وَلَا تُسَبِّقُ إِذَا قُدِّمَتْ ،
فَإِنَّمَا تَحْفَظُ النُّفُوسُ عَلَى قَدَرِ الْخَوْفِ ، وَتَطْلُبُ عَلَى قَدَرِ الطَّمَعِ ،
وَتَطْمَئِنُّ عَلَى قَدَرِ السَّبَبِ . فَإِذَا اسْتَطَعْتَ أَنْ يَكُونَ مَعَكَ خَوْفُ
الْمُشْفِقِ وَقَنَاعَةُ الرَّاضِي فَافْعَلْ .

وكتب عمر بن عبد العزيز إلى رجاء بن حيوة : أما بعد ،
فإنه من أكثر من ذكّر الموت اكتفى باليسير ، ومن علم
أنّ الكلام عملٌ قلّ كلامه إلا فيما ينفعه .

وكتب عمر بن الخطاب إلى عتبة بن غزوان عامله على
البصرة : أما بعد ، فقد أصبحت أميراً تقول فيسمع لك ،
وتأمر فينفذ أمرك ، فيا لها نعمةً إن لم ترّ فعك فوق قدرك ،
وتطعنك على من دونك ، فاحترس من النعمة أشدّ من
احتراسك من المصيبة ، وإياك أن تسقط سقطة لا لها ،
أي لا إقالة لها ، وتعتثر عشرة لا تُقالها ، والسلام .

وكتب الحسن إلى عمر : إن فيما أمرك الله به شغلاً عما
نُهاك عنه ، والسلام .

وكتب عمر بن عبد العزيز إلى الحسن : اجمع لي أمر الدنيا
وصِف لي أمر الآخرة .

فكتب إليه : إنّما الدنيا حلم والآخرة يقظة والموت
متوسّط ، ونحن في أضغاث أحلام ، من حاسب نفسه ربح ،
ومن غفل عنها خسر ، ومن نظر في العواقب نجى ، ومن

أَطَاعَ هَوَاهُ ضَلَّ ، وَمَنْ حَلُمَ غَنِمَ ، وَمَنْ خَافَ سَلِمَ ،
وَمَنْ اعْتَبَرَ أَبْصَرَ ، وَمَنْ أَبْصَرَ فَهِمَ ، وَمَنْ فَهِمَ عَلِمَ ،
وَمَنْ عَلِمَ عَمِلَ ، فَإِذَا زَلَّتْ فَارْجَعْ ، وَإِذَا نَدِمْتَ فَأَقْلَعْ ،
وَإِذَا جَهَلْتَ فَاسْأَلْ ، وَإِذَا غَضِبْتَ فَامْسِكْ ، وَاعْلَمْ أَنَّ
أَفْضَلَ الْأَعْمَالِ مَا أُكْرِهَتْ النُّفُوسُ عَلَيْهِ .

موعظ الآباء للأبناء

قال لقمان لابنه : إذا أتيت مجلسَ قومٍ فارمهمُ بسمهمُ
السلام ثم اجلس ، فإن أفاضوا في ذِكْرِ الله فأجلِ سَمَهمُك
مع سِهامهم ، وإن أفاضوا في غير ذلك فتخلَّ عنهم وانفض .
وقال : يا بُنيَّ ، استعِذ بالله من شرِّارِ الناس وكنْ من
خيرِهم على حدَر .

ومثلُ هذا قولُ أكرم بن صَيْفِي : احذر الأمين ولا تأتمن
الخان ، فإنَّ القلوب بيد غيرك .

وقال لقمان لابنه : لا ترْكَنَّ إلى الدنيا ، ولا تشغَلْ
قلْبك بها ، فإنك لم تُخلَق لها ، وما خلَقَ الله خلقاً أهون
عليه منها ، فإنه لم يجعل نعيمها ثواباً للمطيعين ، ولا بلاءها عقوبة
للعاصين .

يا بُنيَّ ، لا تضحك من غير عَجَب ، ولا تَمْشِ في غير أرب ،
ولا تسأل عما لا يعْنِيكَ .

يا بُنيَّ ، لا تُضيِّع مالك وتُصلِح مالَ غيرك ، فإن مالك
ما قدِّمْتَ ، ومالَ غيرك ما تركت .

يَا بَنِيَّ ، إِنَّهُ مَنْ يَرْحَمِ يُرْحَمَ ، وَمَنْ يَصْنُمْتُ يَسْلَمَ ، وَمَنْ
يَقْتُلِ الْخَيْرَ يَغْنَمَ ، وَمَنْ يَقْتُلِ الْبَاطِلَ يَأْتِمَ ، وَمَنْ لَا يَمْلِكُ
لِسَانَهُ يَنْدَمَ .

يَا بَنِيَّ ، زَاكِمُ الْعُلَمَاءِ بِرُكْنَيْتَيْكَ ، وَأَنْصَتِ إِلَيْهِمْ بِأَذْنَيْكَ ، فَإِنَّ
الْقَلْبَ يَحْيَا بِنُورِ الْعُلَمَاءِ كَمَا تَحْيَا الْأَرْضُ الْمَيِّتَةَ بِمَطَرِ السَّمَاءِ .

وَقَالَ خَالِدُ بْنُ صَفْوَانَ لِابْنِهِ : كُنْ أَحْسَنَ مَا تَكُونُ فِي
الظَّاهِرِ حَالًا ، أَقَلَّ مَا تَكُونُ فِي الْبَاطِنِ مَالًا ، وَدَعْ مِنْ أَعْمَالِ
السَّرِّ مَا لَا يَصْلُحُ لَكَ فِي الْعِلَاقَةِ .

وَقَالَ أَعْرَابِيٌّ لِابْنِهِ : يَا بَنِيَّ ، إِنَّهُ قَدْ أَسْمَعَكَ الدَّاعِيَ ،
وَأَعَذَرَ إِلَيْكَ الطَّالِبَ ، وَانْتَهَى الْأَمْرُ فَيْدُكَ إِلَى حَدِّهِ ، وَلَا أَعْرِفُ
أَعْظَمَ رِزْيَةٍ مِمَّنْ ضَيَّعَ الْيَقِينَ وَأَخْطَأَ الْأَمَلَ .

وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ لِابْنِهِ ، وَكَانَ مِنْ أَفْضَلِ بَنِي هَاشِمٍ :
يَا بَنِيَّ ، اصْبِرْ عَلَى النَّوَائِبِ ، وَلَا تَعْرِضْ لِلْحُتُوفِ ، وَلَا تُجِيبْ
أَخَاكَ مِنَ الْأَمْرِ إِلَى مَا مَضَرَّتْهُ عَلَيْكَ أَكْثَرُ مِنْ مَنْفَعَتِهِ لَكَ .

وَقَالَ حَكِيمُ لَبْنِيهِ : يَا بَنِيَّ ، إِيَّاكُمْ وَالْجَزَعَ عِنْدَ الْمَصَائِبِ ،
فَإِنَّهُ مَجْلِبَةٌ لِلْهَمِّ وَسُوءِ ظَنٍّ بِالرَّبِّ وَشِمَاتَةٌ لِلْعَدُوِّ ، وَإِيَّاكُمْ أَنْ
تَكُونُوا بِالْأَحْدَاثِ مُغْتَرِبِينَ ، وَلَهَا آمَنِينَ ، فَإِنِّي وَاللَّهِ مَا سَخِرْتُ
مِنْ شَيْءٍ إِلَّا أَنْزَلَ بِي مِثْلَهُ ، فَاحْذَرُوهَا وَتَوَقَّعُوهَا ، فَإِنَّمَا الْإِنْسَانُ

في الدنيا غَرَضُهُ تَتَعَاوَرُهُ السَّهَامُ ، فَمُجَاوِزُهُ لَهُ وَمُقَصِّرُهُ عَنْهُ
وَوَاقِعُهُ عَنْ يَمِينِهِ وَشِمَالِهِ ، حَتَّى يُصِيبَهُ بَعْضُهَا ، وَاعْلَمُوا أَنَّ لِكُلِّ
شَيْءٍ جِزَاءً وَلِكُلِّ عَمَلٍ ثَوَابًا . وَقَدْ قَالُوا : كَمَا تَدِينُ تَدَانُ ، وَمَنْ
بَرَّ يَوْمًا بُرَّ بِهِ .

وقال الشاعر :

إِذَا مَا الدَّهْرُ جَرَّ ، عَلَى أَنَاسٍ ، حَوَادِثُهُ ، أَنَاخَ بِأَخْرِينَا
فَقُلْ لِلشَّامِتِينَ بِنَا أَفِيقُوا ، سَيَلْقَى الشَّامِتُونَ كَمَا لَقِينَا

وقال حكيم لابنه : يَا بُنَيَّ ، إِنِّي مُوصِيكَ بِوَصِيَّةٍ ، فَإِنْ لَمْ
تَحْفَظْ وَصِيَّتِي عَنِّي لَمْ تَحْفَظْهَا عَنْ غَيْرِي : اتَّقِ اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتَ ،
وَإِنْ قَدَرْتَ أَنْ تَكُونَ الْيَوْمَ خَيْرًا مِنْكَ أَمْسَ وَغَدًا خَيْرًا
مِنْكَ الْيَوْمَ فَافْعَلْ ، وَإِيَّاكَ وَالطَّمَعَ فَإِنَّهُ فَقَرُّ حَاضِرٍ ، وَعَلَيْكَ
بِالْيَأْسِ فَإِنَّكَ لَنْ تَيَاسَّ مِنْ شَيْءٍ قَطُّ إِلَّا أَغْنَاكَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَإِيَّاكَ
وَمَا يُعْتَذِرُ مِنْهُ فَإِنَّكَ لَنْ تَعْتَذِرَ مِنْ خَيْرٍ أَبَدًا ، وَإِذَا عَثَرَ عَاثِرٌ
فَاحْمَدِ اللَّهَ أَنْ لَا تَكُونَ هُوَ .

يَا بُنَيَّ ، خُذِ الْخَيْرَ مِنْ أَهْلِهِ ، وَدَعْ الشَّرَّ لِأَهْلِهِ ، وَإِذَا قُضِيَ
إِلَى صَلَاتِكَ فَصَلِّ صَلَاةَ مُودِّعٍ ، وَأَنْتَ تَرَى أَنْ لَا تُصَلِّيَ
بَعْدَهَا أَبَدًا .

وقال عليُّ بن الحُسين ، عليهما السلام ، لابنه : يا بُنَيَّ ، إن الله لم يَرْضَكَ لي فأَوْصَاكَ بي ، وَرَضِيَني إكَ فَحَدِّثْني مِنْكَ ، واعلم أنَّ خَيْرَ الآباءِ للأبناءِ مَنْ لم تَدْعُهُ المودة إلى التفريط فيه ، وخَيْرَ الأبناءِ للآباءِ مَنْ لم يَدْعُهُ التقصيرُ إلى العقوق له .

وقال حكيم لابنه : يا بُنَيَّ ، إنَّ أَشَدَّ الناسِ حَسْرَةً يومَ القيامة رجل كَسَبَ مالاً من غيرِ حِلِّهِ فأدخله النارَ ، وأورَثه مَنْ عَمِلَ فيه بطاعة الله فأدخله الجنة .



عَمَرُو بن عُسْبَةَ قال : لما بلغتُ خمسَ عشرةَ سنة قال لي أبي : يا بُنَيَّ ، قد تَقَطَّعَتْ عَنْكَ شَرَائِعُ الصِّبَا فالزِمِ الحياءَ تكن من أهلِهِ ، ولا تُزَايِلْهُ فَتَبِينَ مِنْهُ ، ولا يَغُرَّتْكَ من اغْتَرَّ بالله فيكَ فَمَدَحَكَ بما تعلمُ خِلَافَهُ من نَفْسِكَ ، فإنه من قال فيكَ من الخَيْرِ ما لم يَعْلَمْ إذا رَضِيَ ، قال فيكَ من الشرِّ مثله إذا سَخِطَ . فاستأنس بالوَحْدَةِ من جُلُساءِ السَّوءِ تَسَلَّمَ من غِبٍّ عَوَاقِبِهِمْ .



وقال عبد الملك بن مَرْوَانَ لِبَنِيهِ : كُفُّوا الأذى ، وابدؤوا المعروف ، واعفوا إذا قَدَرْتُمْ ، ولا تَبْخُلُوا إذا سُئِلْتُمْ ، ولا تُلْجِفُوا إذا سَأَلْتُمْ ، فإنه من ضَيَّقَ ضَيِّقَ عَلَيْهِ ، ومن أَعْطَى أَخْلَفَ الله عليه .

وقال الأشعثُ بن قيس لبنيه : يا بنيَّ ، لا تذلُّوا في
أعراضكم ، وانخدعوا في أموالكم ، ولتخفَّ بطنوكُم من
أموال الناس ، وظهوركم من دماءهم ، فإنَّ لكلَّ امرئٍ تبعه .
وإياكم وما يعتذر منه أو يستحي ، فإنما يعتذر من ذنب ،
ويستحي من عيب ؛ وأصلحوا المالَ لجفوة السُّلطان وتغيُّر
الزمان ، وكفُّوا عند الحاجة عن المسألة ، فإنه كفى بالردِّ
منعاً ، وأجملُّوا في الطلب حتى يوافق الرِّزق قدراً ، وامنعوا
النساء من غير الأكفاء ، فإنكم أهلُ بيتٍ يتأسى بكم الكريمُ ،
ويتشرَّف بكم اللئيمُ ؛ وكونوا في عوامِّ الناس ما لم يضطرب
الجلُّ ، فإذا اضطرب الجلُّ فالحقوا بعشائرهم .

وكتب عمرُ بن الخطاب إلى ابنه عبد الله في غيبة غابها :
أمَّا بعد ، فإنَّ مَنْ اتقى الله وقاه ، ومن اتكل عليه كفاه ،
ومن شكرَ له زاده ، ومن أقرضه جزاه ؛ فاجعل التقوى
عمارة قلبك وجلاء بصرك ، فإنه لا عملَ لمن لا نيَّةَ له ، ولا
خيرَ لمن لا خشيَّةَ له ، ولا جديدَ لمن لا خلقَ له .

وكتب عليُّ بنُ أبي طالب إلى ولده الحسن ، عليهما السلام :
من عليٍّ أمير المؤمنين الوالدِ الفان ، المقرِّ للزمان ، المستسلم

لِلْحَدَثَانِ ، الْمُدْبِرِ الْعُمْرَ ، الْمُؤَمِّلِ مَا لَا يُدْرِكُ ، السَّالِكِ سَبِيلَ
مَنْ قَدْ هَلَكَ ، غَرَضِ الْأَسْقَامِ ، وَرَهِينَةِ الْأَيَّامِ ، وَعَبْدِ الدُّنْيَا ،
وَتَاجِرِ الْغُرُورِ ، وَأَسِيرِ الْمَنَايَا ، وَقَرِينِ الرَّزَايَا ، وَصَرِيعِ الشَّهَوَاتِ ،
وَنُصْبِ الْآفَاتِ ، وَخَلِيفَةِ الْأَمْوَاتِ .

أَمَّا بَعْدُ ، يَا بُنَيَّ ، فَإِنَّ فِيمَا تَفَكَّرْتَ فِيهِ مِنْ إِدْبَارِ الدُّنْيَا
عَنِّي ، وَإِقْبَالِ الْآخِرَةِ إِلَيَّ ، وَجُمُوحِ الدَّهْرِ عَلَيَّ^١ ، مَا يُرَغِّبُنِي
عَنْ ذِكْرِ سِوَايَ ، وَالْإِهْتِمَامِ بِمَا وَرَائِي ، غَيْرَ أَنَّهُ حِينَ تَفَرَّدَ بِي
هَمُّ نَفْسِي دُونَ هَمِّ النَّاسِ ، فَصَدَّقَنِي رَأْيِي وَصَرَفَنِي عَنْ هَوَايَ
وَصَرَّحَ بِي مَحْضُ أَمْرِي ، فَأَقْضِي بِي إِلَى جِدِّ لَا يُزْرِي بِهِ
لَعِبٌ ، وَصِدْقٍ لَا يَشُوبُهُ كَذِبٌ .

وَوَجَدْتُكَ يَا بُنَيَّ بَعْضِي ، بَلْ وَجَدْتُكَ كُلِّي ، حَتَّى كَأَنَّ
شَيْئًا لَوْ أَصَابَكَ لِأَصَابَنِي ، وَحَتَّى كَأَنَّ الْمَوْتَ لَوْ أَتَاكَ أَتَانِي ، فَعِنْدَ
ذَلِكَ عَنَانِي مِنْ أَمْرِكَ مَا عَنَانِي مِنْ أَمْرِ نَفْسِي .

كُتِبَتْ إِلَيْكَ كِتَابِي هَذَا يَا بُنَيَّ مُسْتَظْهِرًا بِهِ إِنَّ أَنَا بَقِيتُ
لَكَ أَوْ كَفَيْتُ ، فَإِنِّي مُوصِيكَ بِتَقْوَى اللَّهِ وَعِمَارَةِ قَلْبِكَ بِذِكْرِهِ
وَالِاعْتِصَامِ بِحَبْلِهِ ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ : « وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ
جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ
أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا . »

وأيُّ سببٍ يا بُنيَّ أوثق من سببٍ بينك وبين الله تعالى
إن أنت أخذت به ؟

أحي قلبك بالموعظة ، ونورهِ بالحكمة ، وأمنه بالزُّهد ،
وذللّه بالموت ، وقوّهِ بالغِنى عن الناس ، وحدّزْهُ صولةِ
الدَّهرِ ، وتقشّبِ الأيامِ والليالي ، واغرِضْ عليه أخبارَ الماضين
وسِرِّ في ديارهم وآثارهم فانظر ما فعلوه وأين حلُّوا ، فإنك
تجدهم قد انتقلوا عن دار الأُحبة ونزلوا دارَ الغُربة .

وكانَّكَ عن قليلٍ يا بُنيَّ قد صِرتَ كأحدِهم ، فَبِيعْ
دُنْيَاكَ بِآخِرَتِكَ ، ولا تَبِعْ آخِرَتَكَ بِدُنْيَاكَ ، ودَعِ القولَ فيما
لا تَعْرِفُ ، والأمرَ فيما لا تُكَلِّفُ ، وأمرُ بالمعروفِ بيدِكَ
ولسانك ، وإنه عن المُنْكَرِ بيدكَ ولسانك ، وباينُ مَنْ فَعَلَهُ ،
وخُصُ الغِمَرَاتِ للحقِّ ، ولا تأخُذْكَ في الله لومةُ لائمٍ ،
واحفظ وصيَّتي ولا تَذْهَبْ عنكَ صَفْحاً ، فلا خيرَ في عِلْمٍ
لا يَنْفَعُ .

واعلم أنَّ أَمَامَكَ طريقاً ذا مسافةٍ بعيدة ، ومشقةً شديدة ،
وأنه لا غِنى لك فيه عن حُسْنِ الارتِيادِ ، مَعَ بلاغِكَ من الزَّادِ .
فإن أَصَبْتَ من أهلِ الفاقةِ مَنْ يَحْمِلُ عنكَ زادَكَ فيؤاخيكَ به
في مَعادِكَ فاغْتَنِمْهُ ، فإن أَمَامَكَ عَقَبَةٌ كَوُوداً لا يَجَاوِزُهَا إِلَّا

أَخَفُ النَّاسِ حِمْلًا ، فَأَجْمِلُ فِي الطَّلَبِ ، وَأَحْسِنِ الْمُكْتَسَبِ ،
فَرُبَّ طَلَبٍ قَدْ جَرَّ إِلَى حَرْبٍ^١ ، وَإِنَّمَا الْمُحْرُوبُ مِنْ حَرْبِ
دِينِهِ ، وَالْمُسْلُوبُ مِنْ سُلْبِ يَقِينِهِ .
وَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا غِنَى يَعْدِلُ الْجَنَّةَ ، وَلَا فَقْرَ يَعْدِلُ النَّارَ .
وَالسَّلَامُ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ .

وَكُتِبَ إِلَى ابْنِهِ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَنْفِيَّةِ : أَنْ تَفْقَهُ فِي الدِّينِ ،
وَعَوِّدَ نَفْسَكَ الصَّبْرَ عَلَى الْمَكْرُوهِ ، وَكِلْ نَفْسَكَ فِي أُمُورِكَ
كُلِّهَا إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، فَإِنَّكَ تَكِلُهَا إِلَى كَهْفٍ . وَأَخْلِصْ
الْمَسْأَلَةَ لِلرَّبِّكَ فَإِنَّ بِيَدِهِ الْعَطَاءَ وَالْحِرْمَانَ ، وَأَكْثِرِ الاسْتِخَارَةَ لَهُ .
وَاعْلَمْ أَنَّ مَنْ كَانَتْ مَطِيئَتُهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ فَإِنَّهُ يُسَارِبُهُ وَإِنْ
كَانَ لَا يَسِيرُ ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ أَبَى إِلَّا خَرَابَ الدُّنْيَا وَعِمَارَةَ
الْآخِرَةِ . فَإِنْ قَدَرْتَ أَنْ تَزْهَدَ فِيهَا زَهْدَكَ كُلَّهُ فَافْعَلْ ذَلِكَ ،
وَإِنْ كُنْتَ غَيْرَ قَابِلٍ نَصِيحَتِي إِيَّاكَ فَاعْلَمْ عَلِيمًا يَقِينًا أَنَّكَ
لَنْ تَبْلُغَ أَمْلَكَ ، وَلَنْ تَعْدُو أَجَلَكَ ، وَأَنَّكَ فِي سَبِيلِ مَنْ
كَانَ قَبْلَكَ .

فَأَكْرَمَ نَفْسَكَ عَنْ كُلِّ دُنْيَا وَإِنْ سَاقَتْكَ إِلَى الرِّغَابِ ،
فَإِنَّكَ لَنْ تَعْتَاضَ بِمَا تَبْذُلُ مِنْ نَفْسِكَ عَوْضًا .

١ الحرب : سلب المال .

وإِيَّاكَ أَنْ تُوجِفَ^١ بِكَ مَطَايَا الطَّمَعِ وتَقُولَ : متى ما
أَخَّرْتَ نَزَعْتُ ، فَإِنَّ هَذَا أَهْلَكَ مَنْ هَلَكَ قَبْلَكَ .

وَأَمْسِكْ عَلَيْكَ لِسَانَكَ ، فَإِنَّ تَلَاْفِيكَ مَا فَرَطَ مِنْ صَمْتِكَ
أَيْسَرُ عَلَيْكَ مِنْ إِدْرَاكِ مَا فَاتَ مِنْ مَنْطِقِكَ ، وَاحْفَظْ مَا فِي
الْوَعَاءِ بِشَدِّ الْوِكَاءِ ، فَحَسُنَ التَّدْبِيرُ مَعَ الْاِقْتِصَادِ أَبْقَى لَكَ مِنَ
الكَثِيرِ مَعَ الْفَسَادِ ، وَالْحُرْفَةُ^٢ مَعَ الْعَقَّةِ خَيْرٌ مِنَ الْغِنَى مَعَ
الْفُجُورِ ، وَالْمَرْءُ أَحْفَظُ لِسِرِّهِ ، وَلَرْبَمَا سَعَى فِيمَا يَضُرُّهُ .

وإِيَّاكَ وَالِاتِّكَالَ عَلَى الْأَمَانِي ، فَإِنَّهَا بَضَائِعُ النَّوْكَى وَتُشَبِّطُ
عَنِ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى .

وَمِنْ خَيْرِ حِظِّ الدُّنْيَا الْقَرِينَ الصَّالِحَ ، فَقَارِنْ أَهْلَ الْخَيْرِ
تَكُنْ مِنْهُمْ ، وَبَايِنِ أَهْلَ الشَّرِّ تَبَيَّنْ عَنْهُمْ ، وَلَا يَغْلِبَنَّ عَلَيْكَ
سُوءُ الظَّنِّ ، فَإِنَّهُ لَنْ يَدَعَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ خَلِيلٍ صُلْحًا .

أَذْكِرْ قَلْبَكَ بِالْأَدَبِ كَمَا تُذَكِّرُ النَّارُ بِالْحَطَبِ ، وَاعْلَمْ أَنَّ
كُفْرَ النِّعْمَةِ لُؤْمٌ ، وَصُحْبَةُ الْأَحْمَقِ سُؤْمٌ ، وَمَنِ الْكَرَمُ
مَنْعُ الْحُرَمِ ، وَمَنْ حَلُمٌ سَادَ ، وَمَنْ تَفَهَّمَ اَزْدَادَ .

امْحَضْ أَخَاكَ النَّصِيحَةَ ، حَسَنَةً كَانَتْ أَوْ قَبِيحَةً . لَا تَصْرُمْ

١ توجف : تسرع .

٢ الحرفة : الضيق والافلال .

أَخَاكَ عَلَى ارْتِيَابٍ ، وَلَا تَقْطَعِهِ دُونَ اسْتِعْتَابٍ ، وَلَيْسَ جَزَاءُ
مَنْ سَرَّكَ أَنْ تَسُوَّهُ .

الرِّزْقُ رِزْقَانِ : رِزْقٌ تَطْلُبُهُ وَرِزْقٌ يَطْلُبُكَ ، فَإِنْ لَمْ
تَأْتِهِ أَتَاكَ .

وَاعْلَمْ يَا بُنَيَّ أَنَّ مَا لَكَ مِنْ دُنْيَاكَ إِلَّا مَا أَصَابَتْ بِهِ مِنْ
مَثْوَاكَ ، فَأَنْفَقْ مِنْ خَيْرِكَ ، وَلَا تَكُنْ خَازِنًا لِغَيْرِكَ ،
وَأِنْ جَزَعْتَ عَلَى مَا يُفْلَتُ مِنْ يَدَيْكَ فَاجْزَعْ عَلَى مَا لَمْ
يَصِلْ إِلَيْكَ .

رَبَّمَا أَخْطَأَ الْبَصِيرُ قَصْدَهُ ، وَأَبْصَرَ الْأَعْمَى رُشْدَهُ ، وَلَمْ
يَهْلِكْ أَمْرُهُ اقْتِصَادًا ، وَلَمْ يَفْتَقِرْ مِنْ زَهْدٍ .

مَنْ ائْتَمَنَ الزَّمَانَ خَانَهُ ، وَمَنْ تَعَظَّمَ عَلَيْهِ أَهَانَهُ .

رَأْسُ الدِّينِ الْيَقِينُ ، وَتِمَامُ الْإِخْلَاصِ اجْتِنَابُ الْمَعَاصِي ،
وَخَيْرُ الْمَقَالِ مَا صَدَّقَتْهُ الْفِعَالُ .

سَلْ عَنِ الرَّفِيقِ قَبْلَ الطَّرِيقِ ، وَعَنِ الْجَارِ قَبْلَ الدَّارِ ،
وَاحْمِلْ لِصَدِيقِكَ عَلَيْكَ ، وَاقْبَلْ عُذْرَ مَنْ اعْتَذَرَ إِلَيْكَ ، وَأَخِّرْ
الشَّرَّ مَا اسْتَطَعْتَ ، فَإِنَّكَ إِذَا سِتَّتَ تَعَجَّلْتَهُ .

لَا يَكُنْ أَخْوَكَ عَلَى قَطِيعَتِكَ أَقْوَى مِنْكَ عَلَى صَلَاتِهِ ، وَعَلَى
الْإِسَاءَةِ أَقْوَى مِنْكَ عَلَى الْإِحْسَانِ .

لا تُملِكَنَّ المرأة من الأمر ما يُجاوز نفسها ، فإن المرأة
ريحانة ، وليست بقهرمانة ، فإنّ ذلك أدومُ لحالها ، وأرخصُ لبالها .
واغضُضْ بصرَها بسِتْرِكَ ، واكفُفْها بحجابِكَ .
وأكرم الذين بهم تَصُولُ ، وإذا تطاولتَ بهم تَطُولُ .
أسأل الله أن يُلْهِمَكَ الشكر والرَّشْدَ ، وَيُقَوِّيكَ على العمل
بكل خير ، وَيَصْرِفَ عَنْكَ كُلَّ مُحْذُورٍ بِرَحْمَتِهِ ، وَالسَّلَامُ
عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ .

مقامات العباد عند الخلفاء

مقام صالح بن عبد الجليل

قام صالح بن عبد الجليل بين يدي المهديّ فقال له : إنه لما سَهّل علينا ما تعرّر على غيرنا من الوصول إليك قُمْنَا مقام الأداء عنهم وعن رسول الله ، صلّى الله عليه وسلّم ، بإظهار ما في أعناقنا من فريضة الأمر والنهي عند انقطاع عُذر الكِتمان ، ولا سيّما حين اتّسمت بميسم التّواضع ، ووعدت الله وحملة كتابه إثارة الحق على ما سواه ، فجمعنا وإياك مشهدٌ من مشاهد التّحصيل .

وقد جاء في الأثر : مَنْ حَجَبَ الله عنه العِلْمَ عَذَبَهُ على الجَهْل ، وأشدُّ منه عذاباً مَنْ أَقْبَلَ إليه العِلْمُ فَأَدْبَرَ عنه .
فاقبل يا أمير المؤمنين ما أهدِي إليك من ألسنتنا قبول تحقيق وعمل ، لا قبول سُمعةٍ ورياء ، فإنما هو تنبيه من غفلة ، وتذكير من سهو ، وقد وطنّ الله ، عزّ وجلّ ، نبيّه ، عليه السلام ، على نُزولها ، فقال تعالى : « وَإِنَّمَا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ . »

١ ينزغك : يحنك على المعاصي .

مقام رجل من العباد

عند المنصور

بينما المنصورُ في الطَّوَّافِ بالبَيْتِ لَيْلاً إِذْ سَمِعَ قَائِلاً يَقُولُ :
اللَّهُمَّ إِنِّي أَشْكُو إِلَيْكَ ظُهُورَ الْبَغْيِ وَالْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ ، وَمَا
يَحُولُ بَيْنَ الْحَقِّ وَأَهْلِهِ مِنَ الطَّمَعِ .

فَيَخْرُجُ الْمَنْصُورُ ، فَجَلَسَ نَاحِيَةَ مِنَ الْمَسْجِدِ ، وَأَرْسَلَ إِلَى
الرَّجُلِ يَدْعُوهُ . فَصَلَّى رَكَعَتَيْنِ وَاسْتَلَّمَ الرُّكْنَ وَأَقْبَلَ مَعَ
الرَّسُولِ فَسَلَّمَ عَلَيْهِ بِالْخُلَافَةِ ، فَقَالَ الْمَنْصُورُ : مَا الَّذِي سَمِعْتُكَ
تَذْكُرُ مِنْ ظُهُورِ الْفَسَادِ وَالْبَغْيِ فِي الْأَرْضِ ؟ وَمَا الَّذِي يَحُولُ
بَيْنَ الْحَقِّ وَأَهْلِهِ مِنَ الطَّمَعِ ؟ فَوَاللَّهِ لَقَدْ حَشَوْتُ مَسَامِعِي
مَا أَرْمَضَنِي^١ .

فَقَالَ : إِنَّ أَمَّنْتَنِي يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَعْلَمْتُكَ بِالْأُمُورِ مِنْ
أَصُولِهَا ، وَإِلَّا احْتَجَرْتُ مِنْكَ وَاقْتَصَرْتُ عَلَى نَفْسِي فَبِمَا شَاغَلَ .
قَالَ : فَأَنْتَ آمَنٌ عَلَى نَفْسِكَ فَقُلْ .

١ أَرْمَضَنِي : أَوْجَعَنِي وَآلَمَنِي .

فقال : يا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنَّ الَّذِي دَخَلَهُ الطَّمَعُ وَحَالَ بَيْنَهُ
وَبَيْنَ مَا ظَهَرَ فِي الْأَرْضِ مِنَ الْفَسَادِ وَالْبَغْيِ لَأَنْتَ .

فقال : فَكَيْفَ ذَلِكَ وَيُحَكِّ ! يَدْخُلُنِي الطَّمَعُ وَالصَّفَرَاءُ
وَالْبَيْضَاءُ فِي قَبْضَتِي وَالْحُلُو وَالْحَامِضُ عِنْدِي ؟

قال : وَهَلْ دَخَلَ أَحَدًا مِنَ الطَّمَعِ مَا دَخَلَكَ ؟ إِنَّ اللَّهَ
اسْتَرَعَاكَ أَمْرَ عِبَادِهِ وَأَمْوَالِهِمْ ، فَأَغْفَلْتَ أُمُورَهُمْ ، وَاهْتَمَمْتَ
بِجَمْعِ أَمْوَالِهِمْ ، وَجَعَلْتَ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُمْ حِجَابًا مِنَ الْجَنَاصِ
وَالْأَجْرِ ، وَأَبْوَابًا مِنَ الْحَدِيدِ ، وَخُرَّاسًا مَعَهُمُ السَّلَاحُ ، ثُمَّ سَجَنْتَ
نَفْسَكَ عَنْهُمْ فِيهَا ، وَبَعَثْتَ عَمَّالَكَ فِي جَبَايَاتِ الْأَمْوَالِ وَجَمَعَهَا ،
وَقَوَّيْتَهُم بِالرِّجَالِ وَالسَّلَاحِ وَالْكَرَاعِ^١ ، وَأَمَرْتَ أَنْ لَا يَدْخُلَ
عَلَيْكَ أَحَدٌ مِنَ الرِّجَالِ إِلَّا فُلَانٌ وَفُلَانٌ نَفَرًا سَمِيتَهُمْ ، وَلَمْ تَأْمُرْ
بِإِصْلَاحِ الْمَظْلُومِ وَلَا الْمَلْهُوفِ وَلَا الْجَائِعِ الْعَارِي وَلَا الضَّعِيفِ
الْفَقِيرِ إِلَيْكَ ، وَلَا أَحَدٌ إِلَّا وَلَهُ فِي هَذَا الْمَالِ حَقٌّ .

فَلَمَّا رَأَى هَؤُلَاءِ النَّفَرُ الَّذِينَ اسْتَخْلَصْتَهُمْ لِنَفْسِكَ ، وَآثَرْتَهُمْ
عَلَى رِعِيَّتِكَ ، وَأَمَرْتَ أَنْ لَا يُحْجَبُوا دُونَكَ ، تَجَنَّبِي الْأَمْوَالِ
وَتَجَمَّعَهَا ، قَالُوا : هَذَا قَدْ خَانَ اللَّهُ فَمَا لَنَا لَا نَخُونُهُ ؟ فَاتَّمَرُوا
أَنْ لَا يَصِلَ إِلَيْكَ مِنْ عِلْمِهِمْ أَخْبَارُ النَّاسِ شَيْءٌ إِلَّا مَا أَرَادُوا ،

١ الكراع : الخيل .

ولا يخرجك عاملٌ فيُخالفَ أمرهم إلاَّ خوَّنه عندك ونَفَّوه ،
حق تسقط منزلته .

فلما انتشر ذلك عنك وعنهم أعظمهم الناسُ وهابوهم
وصانعوهم ، فكان أولَ من صانعهم عمَّا لك بالهدايا والأموال ،
ليَقْبُوا بها على ظلم رعيَّتكَ ، ثم فعل ذلك ذوو المقدرة
والشَّروة من رعيَّتكَ ، لينالوا ظلم من دونهم ، فامتلات بلادُ الله
بالطمع ، ظلماً وبغياً وفساداً ، وصار هؤلاء القومُ شركاءك
في سلطانك وأنت غافل .

فإن جاء مُتظلمٌ حيل بينك وبينه . فإن أراد رفع قصته
إليك عند ظهورك ، وجدك قد نهيت عن ذلك ، ووقفت للناس
رجلاً ينظر في مظالمهم ، فإن جاء ذلك المتظلم فبلغ بطانتك
خبره ، سألوا صاحب المظالم أن لا يرفع مظلَمته إليك ، فإنَّ
المتظلم منه له بهم حرمة ، فأجابهم خوفاً منهم ، فلا يزال
المظلومُ يختلف إليه ويلوذ به ، ويشكو ويستغيث وهو
يدفعه ، فإذا أُجهد وأُخرج ثم ظهرت صرخ بين يديك ،
فيضرب ضرباً مبرحاً يكون نكالاً لغيره ، وأنت تنظر فما
تُشكر ، فما بقاء الإسلام على هذا ؟

وقد كنتُ يا أمير المؤمنين أسافر الى الصين ، فقدِمْتُها
مرَّةً وقد أصيب ملكها بسمعه ، فبكى بكاءً شديداً ، فحشَّه

جُلساؤه على الصَّبر ؛ فقال : أَمَا إِنِّي لَسْتُ أَبْكِي لِلْبَلِيَّةِ النَّازِلَةِ
بِي ، وَلَكِنِّي أَبْكِي لِمَظْلُومٍ يَصْرُخُ بِالْبَابِ فَلَا أَسْمَعُ صَوْتَهُ .
ثم قال : أَمَا إِذْ قَدْ ذَهَبَ سَمْعِي فَإِنَّ بَصْرِي لَمْ يَذْهَبْ ،
نَادُوا فِي النَّاسِ أَنْ لَا يَلْبَسَ ثَوْبًا أَحْمَرَ إِلَّا مُتَظَلِّمٌ .

ثم كَانَ يَرْكَبُ الْفِيلَ طَرَفِي النَّهَارِ وَيَنْظُرُ هَلْ يَرَى مَظْلُومًا .
فَهَذَا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مُشْرِكٌ بِاللَّهِ ، بَلَغَتْ رَأْفَتُهُ بِالْمُشْرِكِينَ هَذَا
الْمَبْلُغَ ، وَأَنْتَ مُؤْمِنٌ بِاللَّهِ مِنْ أَهْلِ بَيْتِ نَبِيِّهِ لَا تَغْلِبُكَ رَأْفَتُكَ
بِالْمُسْلِمِينَ عَلَى شُحِّ نَفْسِكَ .

فَإِنْ كُنْتَ إِنَّمَا تَجْمَعُ الْمَالَ لَوْلَدِكَ ، فَقَدْ أَرَاكَ اللَّهُ عِبْرًا فِي
الطِّفْلِ يَسْقُطُ مِنْ بَطْنِ أُمِّهِ مَا لَهُ عَلَى الْأَرْضِ مَالٌ ، وَمَا مِنْ
مَالٍ إِلَّا وَدُونَهُ يَدٌ شَحِيحَةٌ تَحْوِيهِ ، فَمَا يَزَالُ اللَّهُ يَلْطِفُ بِذَلِكَ
الطِّفْلَ ، حَتَّى تَعْظُمَ رَغْبَةُ النَّاسِ إِلَيْهِ .

وَلَسْتَ الَّذِي تُعْطِي ، بَلِ اللَّهُ الَّذِي يُعْطِي مِنْ يَشَاءُ مَا يَشَاءُ .
فَإِنْ قُلْتَ إِنَّمَا تَجْمَعُ الْمَالَ لَتَشْدُّ بِهِ السُّلْطَانَ ، فَقَدْ أَرَاكَ
اللَّهُ عِبْرًا فِي بَنِي أُمِّيَّةٍ ، مَا أَغْنَى عَنْهُمْ جَمْعُهُمْ مِنَ الذَّهَبِ ، وَمَا
أَعْدَوْا مِنَ الرِّجَالِ وَالسَّلَاحِ وَالْكُرَاعِ حِينَ أَرَادَ اللَّهُ بِهِمْ مَا أَرَادَ .
وَإِنْ قُلْتَ إِنَّمَا تَجْمَعُ الْمَالَ لَطَلْبِ غَايَةٍ هِيَ أَجْسَمُ مِنَ الْغَايَةِ
الَّتِي أَنْتَ فِيهَا ، فَوَاللَّهِ مَا فَوْقَ مَا أَنْتَ فِيهِ إِلَّا مَنْزِلَةٌ لَا تُدْرِكُ
إِلَّا بِخِلَافٍ مَا أَنْتَ عَلَيْهِ .

يا امير المؤمنين ، هل تُعاقِب مَنْ عَصَاكَ بأشدّ من القتل ؟
فقال المنصور : لا .

فقال : فكيف تَصْنَع بِالْمَلِكِ الذي خَوَّلَكَ مُلْكَ الدنيا
وهو لا يُعاقِب مَنْ عَصَاه بالقتل ، ولكن بالخُلُود في العذاب الأليم ؟
قد رأى ما عُقِدَ عليه قلبُك ، وعَمِلَتْه جوارحك ، ونَظَرَ
إليه بِصْرِكَ ، واجتَرَحَتْه يداك ، ومَشَتْ إليه رِجْلاك ، هل
يُغْنِي عنكَ ما شَحِجَّحتَ عليه من مُلْكِ الدُّنيا إذا انتزَعَه من
يدِكَ ودعاكَ إلى الحِساب ؟

قال : فَبَكَى المنصورُ ، ثم قال : لِيَتَنَّى لَمْ أُخْلَقْ ، ويَحْكُ
فكيف أُحْتالَ لِنَفْسِي ؟

فقال : يا امير المؤمنين ، إِنْ لِلنَّاسِ أَعْلَاماً يَفْزَعُونَ إِلَيْهِمْ
فِي دِينِهِمْ ، وَيَرْضَوْنَ بِهِمْ فِي دُنْيَاهُمْ ، فَاجْعَلْهُمْ بِطَانَتَكَ يَرْشُدُونَ ،
وَسَاوِرَهُمْ فِي أَمْرِكَ يُسَدِّدُونَ .

قال : قد بعثتُ إِلَيْهِمْ فَهَرَبُوا مِنِّي .

قال : خَافُوكَ أَنْ تَحْمِلَهُمْ عَلَى طَرِيقَتِكَ ، وَلَكِنْ افْتَحَ
بَابَكَ ، وَسَهَّلَ حِجَابَكَ ، وَانصُرَ الْمَظْلُومَ ، وَاقْمَعَ الظَّالِمَ ،
وَأَخَذَ الْفَيءَ وَالصَّدَقَاتِ مِنْ حِلِّهَا ، وَأَقْسَمَ بِالْحَقِّ وَالْعَدْلِ
عَلَى أَهْلِهَا ، وَأَنَا ضَامِنٌ عَنْهُمْ أَنْ يَأْتُوكَ وَيُسَاعِدُوكَ عَلَى صَلاَحِ الْأُمَّةِ .
وَجَاءَ الْمُؤَذِّنُونَ فَسَلِّمُوا عَلَيْهِ ، فَصَلَّى وَعَادَ إِلَى مَجْلِسِهِ ،
وَطَلِبَ الرَّجُلَ فَلَمْ يَوْجَدْ .

مقام الاوزاعي بين يدي المنصور

قال الأوزاعي : دخلتُ عليه فقال لي : ما الذي بَطَّأ بك عني ؟

قلتُ : وما تريد مني يا أمير المؤمنين ؟
قال : الاقتباس منك .

قلتُ : يا أمير المؤمنين ، انظر ما تقول ، فإنَّ مكحولاً حدَّثني عن عطية بن بَسْر أن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، قال : مَنْ بَلَغْتَهُ عن الله نصيحةٌ في دينه فهي رحمةٌ من الله سِيقت إليه ، فإنَّ قَبِلَهَا من الله بِشُكْرٍ وإِلَّا فهي حُجَّةٌ من الله عليه ، ليزداد إثماً ويزداد الله عليه غَضَباً ؛ وإن بلغه شيء من الحق فرضي فله الرضا ، وإن سَخِطَ فله السُّخْطُ ، ومَنْ كَرِهَهُ فقد كره الله ، عزَّ وجلَّ ، لأنَّ الله هو الحق المبين .

ثم قلتُ : يا أمير المؤمنين ، إنك تحمَّلت أمانة هذه الأمة ، وقد عُرِضت على السَّمَوَاتِ والأَرْضِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا . وقد جاء عن جَدِّكَ عبد الله بن عباس في تفسير قول الله ، عزَّ وجلَّ : « لا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا . » قال : الصَّغِيرَةُ : التَّبَسُّمُ . والكَبِيرَةُ :

الضحك . فما ظنُّك بالقول والعمل ؟ فأعذك بالله يا أمير المؤمنين
أن ترى أن قرابتك من رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ،
تنفعك مع المخالفة لأمره ، فقد قال صلى الله عليه وسلم :
يا صفيّة عمة محمد ، ويا فاطمة بنت محمد ، استوهبا أنفسكما
من الله فإني لا أغني عنكما من الله شيئاً .

وكذلك جدك العباس سأل إمارة من النبي ، صلى الله
عليه وسلم ، فقال : أي عم ، نفس تحييها ، خير لك من
إمارة لا تحييها . نظراً لعمه وشفقة عليه من أن يلي فيحيده
عن سنته جناح بعوضة ، فلا يستطيع له نفعا ، ولا عنه دفعا .
وقال صلى الله عليه وسلم : ما من راعٍ يبيت غاشاً
لرعيته إلا حرّم الله عليه رائحة الجنة . وحقيق على الوالي أن
يكون لرعيته ناظراً ، ولما استطاع من عوراتهم ساتراً ،
وبالحق فيهم قائماً ، فلا يتخوف مُحسنهم منه رهقاً ، ولا مُسيئهم
عدواناً .

فقد كانت بيد رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، جريدة
يستاك بها ، ويردع المنافقين عنه ، فأتاه جبريل ، فقال :
يا محمد ، ما هذه الجريدة التي معك ؟ اتزكها لا تملأ قلوبهم
رغباً . فما ظنك بمن سفك دماءهم ، وقطع أستارهم ، ونهب
أموالهم ؟

يا أمير المؤمنين ، إن المغفور له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ،
دعا الى القصاص من نفسه بخدشٍ خدشه أعرابياً لم يتعمده ،
فقال جبريل : يا محمد ، إن الله لم يبعثك جباراً تكسر
قرون أمتك .

واعلم يا أمير المؤمنين أن كل ما في يدك لا يعدل شربةً
من شراب الجنة ، ولا ثمرةً من ثمارها ، ولو أن ثوباً من ثياب
أهل النار علّق بين السماء والأرض لأهلك الناس رائحته ،
فكيف بمن تقمصه ! ولو أن ذنباً من صديد أهل النار صب
على ماء الدنيا لأحمه^٢ ، فكيف بمن تجرّعه ! ولو أن حلقة
من سلاسل جهنم وضعت على جبل لأذابته ، فكيف بمن يسلك
فيها ، ويردّ فضلها على عاتقه !

١ الذنوب : الدلو .

٢ أحمه : سخنه .

كلام أبي حازم

لسليمان بن عبد الملك

حجَّ سُلَيْمان بن عبد الملك ، فلما قَدِمَ المدينةَ للزيارة بَعَثَ الى أبي حازم الأعرج وعنده ابنُ شهاب ، فلما دخل قال :
تكلِّم يا أبا حازم .

قال : فيمَ أتكلِّم يا أمير المؤمنين ؟

قال : في المَسْخَرَج من هذا الأمر .

قال : يَسِيرُ إِنْ أَنْتَ فَعَلْتَهُ .

قال : وما ذاك ؟

قال : لا تأخذ الأشياءَ إِلَّا من حِلِّها ، ولا تَضَعُها إِلَّا في أهلها .

قال : ومن يقوَّى على ذلك ؟

قال : مَنْ قَلَّدَهُ اللهُ من أمر الرعيَّة ما قَلَّدَكَ .

قال : عِظْني يا أبا حازم .

قال : اعلم أن هذا الأمر لم يَصِرْ إِلَيْكَ إِلَّا بِمَوْتِ مَنْ كَانَ قَبْلَكَ ، وهو خارجٌ من يديك بمثل ما صار إِلَيْكَ .

قال : يا أبا حازم ، أَشِرُّ عَلِيٍّ .

قال : إِنَّمَا أَنْتَ مُسَوِّقٌ فَمَا نَفَقَ عِنْدَكَ حُمِلَ إِلَيْكَ مِنْ خَيْرٍ
أَوْ شَرٍّ ، فَاخْتَرِ أَيَّهِنَّ سِئْتِ .

قال : مَا لَكَ لَا تَأْتِنَا ؟

قال : وَمَا أَصْنَعُ بِإِثْمَانِكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؟ إِنْ أَدْنَيْتَنِي
فَقَتَلْتَنِي ، وَإِنْ أَقْصَيْتَنِي أَخْزَيْتَنِي ، وَلَيْسَ عِنْدَكَ مَا أَرْجُوكَ لَهُ ،
وَلَا عِنْدِي مَا أَخَافُكَ عَلَيْهِ .

قال : فَارْفَعْ إِلَيْنَا حَاجَتَكَ .

قال : قَدْ رَفَعْتُهَا إِلَى مَنْ هُوَ أَقْدَرُ مِنْكَ عَلَيْهَا ، فَمَا أَعْطَانِي
مِنْهَا قَبِلْتُ ، وَمَا مَنَعَنِي مِنْهَا رَضِيتُ .

مقام ابن السماك

عند الرشيد

دَخَلَ عَلَيْهِ ، فَلَمَّا وَقَفَ بَيْنَ يَدَيْهِ قَالَ لَهُ : عِظْنِي يَا
السَّمَّاكُ وَأَوْجِزْ .

قَالَ : كَفَى بِالْقُرْآنِ وَاعْظَا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى :
« بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . وَيَلُّ لِمُطَفِّفِينَ ^١ الَّذِينَ إِذَا
اِكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ » إِلَى قَوْلِهِ « لِرَبِّ الْعَالَمِينَ » .
هَذَا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَعَيْدٌ لِمَنْ طَفَّفَ فِي الْكَيْلِ فَمَا ظَنُّكَ
بِمَنْ أَخَذَهُ كُلُّهُ ؟

وَقَالَ لَهُ مَرَّةً : عِظْنِي وَأُتِي بِمَاءٍ لِيَشْرَبَهُ ، فَقَالَ : يَا أَمِيرَ
الْمُؤْمِنِينَ ، لَوْ حُبِسَتْ عَنْكَ هَذِهِ الشَّرْبَةُ أَكُنْتَ تَفْقِدُهَا بِمُلْكِكَ ؟
قَالَ : نَعَمْ .

قَالَ : فَلَوْ حُبِسَ عَنْكَ خُرُوجُهَا أَكُنْتَ تَفْقِدُهَا بِمُلْكِكَ ؟
قَالَ : نَعَمْ .

١ المطففين ، من طفف المكيال : نقصه قليلاً .

قال : فما خيرُ في مُلك لا يُساوي شُرْبَة ولا بَوْلَة .

قال : يا بن السماك ، ما أحسن ما بَلَغَنِي عنك !

قال : يا أمير المؤمنين ، إنَّ لي عيوباً لو اطلَّع الناسُ منها
على عيبٍ واحدٍ ما ثبتتْ لي في قلب أحدٍ مودَّةٌ ، وإني لخائفٌ
في الكلام الفِتْنَة ، وفي السرِّ الغِرَّة ، وإني لخائفٌ على نفسي
من قِلَّةِ خَوْفٍ عليها .

كلام عمرو بن عبّيد عند المنصور

دخل عمرو بن عبّيد على المنصور وعنده ابنه المهديّ ، فقال له أبو جعفر : هذا ابن أمير المؤمنين ، ووليّ عهد المسلمين ، ورجائي أن تدعو له .

فقال : يا أمير المؤمنين ، أراك قد رَضيتَ له أموراً يصير إليها وأنت عنه مشغول .

فاستعبر أبو جعفر ، وقال له : عِظني أبا عثمان .

قال : يا أمير المؤمنين ، إنَّ الله أعطاك الدّنيا بأسرها ، فاشتَر نفسك منه ببعضها ، هذا الذي أصبح في يديك لو بقي في يد مَنْ كان قبلك لم يَصِلْ إليك .

قال : أبا عثمان ، أعِني بأصحابك .

قال : ارفع عِلم الحق يتبعك أهله .

ثم خرج ، فأتبعه أبو جعفر بصُرّة ، فلم يقبلها وجعل يقول : كلُّكم يمشي رويد ، كلُّكم خاتِلُ صيد ، غير عمرو بن عبّيد

١ خاتِل صيد : مخادع . يقال : خاتِل الصياد ، أي مشى قليلاً قليلاً لئلا يحس الصياد به .

خبر سفيان الثوري

مع أبي جعفر

لَقِيَ أَبُو جَعْفَرٍ سُفْيَانَ الثَّوْرِيَّ فِي الطَّوَافِ ، وَسُفْيَانٌ لَا
يَعْرِفُهُ ، فَضْرَبَ بِيَدِهِ عَلَى عَاتِقِهِ وَقَالَ : أَتَعْرِفُنِي ؟
قَالَ : لَا ، وَلَكِنَّكَ قَبَضْتَ عَلَيَّ قَبْضَةَ جَبَّارٍ .
قَالَ : عِظْنِي أَبَا عَبْدِ اللَّهِ .
قَالَ : وَمَا عَمِلْتَ فِيمَا عَلِمْتَ فَأَعْظَمَكَ فِيمَا جَرَّأْتَ ؟
قَالَ : فَمَا يَمْنَعُكَ أَنْ تَأْتِيَنَا ؟
قَالَ إِنَّ اللَّهَ نَهَى عَنْكُمْ ، فَقَالَ تَعَالَى : « وَلَا تَرْكَنُوا
إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ . »
فَمَسَحَ أَبُو جَعْفَرٍ يَدَهُ بِهِ ثُمَّ التَفَتَ إِلَى أَصْحَابِهِ ، فَقَالَ : أَلْقَيْنَا
الْحَبَّ إِلَى الْعُلَمَاءِ فَلَقَطُوا إِلَّا مَا كَانَ مِنْ سُفْيَانَ فَإِنَّهُ
أَعْيَانَا فَرَارًا .

كلام شبیب بن شیبۃ للمہدی

قال العُتبی : سألتُ بعضَ آلِ شیب بن شیبۃ : اَتَحْفَظُونَ
شیئاً من کلامه ؟

قالوا : نعم ، قال للمہدی : یا أمیرَ المؤمنین ، إنَّ اللهَ إِذْ
قَسَمَ الْأَقْسامَ فی الدُّنْیا جعلَ لکَ أَسْناها وأَعْلَها ، فلا تَرْضَ
لنفسک فی الآخرةِ إِلَّا ما رَضی لکَ به من الدُّنْیا ، فأَوْصیک
بتَقْوَى الله ، فَعَلیکم نَزَلَتْ ، وَمِنْکُم أُخِذَتْ ، وإِلیکم تُرَدُّ .

من كره الموعظة

لبعض ما يكون فيها من الغلظ أو الخرق

قال رجل للرّشيد : يا أمير المؤمنين ، إني أريد أن أعظك
بعِظَةٍ فيها بعضُ الغِلَظَةِ فاحتمِلِهَا .

قال : كلاً ، إنّ الله أمر من هو خيرٌ منك بإلانة القول لمن
هو شرٌّ مني ، قال لنبيّه موسى ، عليه السلام ، إذ أرسله إلى فرعون :
« فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى . »



دخل أعرابيٌّ على سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ ، فَقَالَ : يَا أَمِيرَ
الْمُؤْمِنِينَ ، إني مُكَلِّمُكَ بِكَلَامٍ فاحتمِلِهُ إِنْ كَرِهْتَهُ ، فَإِنْ
وَرَاءَهُ مَا تُحِبُّ إِنْ قَبِلْتَهُ .

قال : هات يا أعرابي .

قال : إني سأطلق لساني بما خَرَسْتُ عَنْهُ الْأَلْسُنُ مِنْ عِظَتِكَ
تَأْدِيَةً لِحَقِّ اللَّهِ تَعَالَى وَحَقِّ إِمَامَتِكَ ، إِنَّهُ قَدْ اكْتَنَفَكَ رِجَالُ
أَسَاوِ الْأَخْتِيَارِ لِأَنفُسِهِمْ فَابْتَعَاوُا دُنْيَاكَ بِدِينِهِمْ ، وَرِضَاكَ بِسُخْطِ
رَبِّهِمْ ، خَافُوكَ فِي اللَّهِ وَلَمْ يَخَافُوا اللَّهَ فِيكَ ، فَهُمْ حَرَبٌ لِلْآخِرَةِ ،

سلم للنديا ، فلا تأمنهم على ما ائتمنك الله عليه ، فإنهم لا يألونك
 خبالاً ، والأمانة تضييعاً ، والأمة عسفاً وخسفاً ، وأنت
 مسئول عما اجتروا ، وليسوا مسئولين عما اجتاحت ، فلا
 تصلح دنياهم بفساد آخرتك ، فإن أخسر الناس صفقة يوم
 القيامة وأعظمهم غبناً من باع آخرته بدنيا غيره .
 قال سليمان : أما أنت يا أعرابي فقد سلكت لسانك وهو
 أحدٌ سيفيك .

قال : أجل يا أمير المؤمنين ، لك لا عليك .

•
 ووعظ رجلٌ المأمون فأصغى إليه منصتاً ، فلما فرغ قال :
 قد سمعتُ موعظتك ، فاسأل الله أن ينفعنا بها وبما علمنا ،
 غير أننا أحوجُ إلى المعاونة بالفعال منّا إلى المعاونة بالمقال ،
 فقد كثّر القائلون ، وقَلَّ الفاعلون .

•
 العُتْبِيُّ قال : دخل رجلٌ من عبد القيس على أبي قو عظه ،
 فلما فرغ ، قال أبي له : لو اتعظنا بما علمنا لانتفعنا بما علمنا ،
 ولكنّا علمنا علماً لزمنا فيه الحُجّة ، وغفلنا غفلةً من

١ احد : أقطع .

وَجِبَتْ عَلَيْهِ النَّقْمَةُ ، فَوُعِظْنَا فِي أَنْفُسِنَا بِالتَّنْقِيلِ مِنْ حَالٍ إِلَى حَالٍ ، وَمِنْ صِغَرٍ إِلَى كِبَرٍ ، وَمِنْ صِحَّةٍ إِلَى سَقَمٍ ، فَأُبَيِّنَا إِلَّا الْمُقَامَ عَلَى الْغَفْلَةِ ، وَإِشَارَةً لِعَاجِلٍ لَا بَقَاءَ لِأَهْلِهِ ، وَإِعْرَاضاً عَنْ آجِلٍ إِلَيْهِ الْمَصِيرِ .



سَعِدَ الْقَصِيرُ قَالَ : دَخَلَ أَنَاسٌ مِنَ الْقُرَّاءِ عَلَى عُتْبَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ فَقَالُوا : إِنَّكَ سَلَّطْتَ السِّيفَ عَلَى الْحَقِّ وَلَمْ تَسَلِّطْ الْحَقَّ عَلَى السِّيفِ ، وَجِئْتَ بِهَا عَشْوَةً خَفِيَّةً .

قَالَ : كَذَبْتُمْ ، بَلْ سَلَّطْتُ الْحَقَّ وَبِهِ سُلِّطْتُ ، فاعرفوا الْحَقَّ تَعْرِفُوا السِّيفَ ، فَإِنَّكُمْ الْحَامِلُونَ لَهُ حَيْثُ وَضَعَهُ أَفْضَلُ ، وَالْوَاضِعُونَ لَهُ حَيْثُ حَمَلَهُ أَعْدَلُ ، وَنَحْنُ فِي أَوَّلِ زَمَانٍ لَمْ يَأْتِ آخِرُهُ ، وَآخِرِ دَهْرٍ قَدْ فَاتَ أَوَّلُهُ ، فَصَارَ الْمَعْرُوفُ عِنْدَكُمْ مُنْكَرًا ، وَالْمُنْكَرُ مَعْرُوفًا ، وَإِنِّي أَقُولُ لَكُمْ مَهْلًا قَبْلَ أَنْ أَقُولَ لِنَفْسِي هَلَا .

قَالُوا : فَتَخْرِجَ آمَنِينَ ؟

قَالَ : غَيْرَ رَاشِدِينَ وَلَا مَهْدِيَّينَ .



١ العشوة : الأمر الملتبس .

حَادَ قَوْمٌ سَفَرٌ عَنِ الطَّرِيقِ فَدَفَعُوا إِلَى رَاهِبٍ مُنْفَرِدٍ فِي صَوْمَعَتِهِ ، فَنَادَوْهُ ، فَأَشْرَفَ عَلَيْهِمْ ، فَسَأَلُوهُ عَنِ الطَّرِيقِ ، فَقَالَ : هَا هُنَا ، وَأَوْمَأَ بِيَدِهِ إِلَى السَّمَاءِ ، فَعَلِمُوا مَا أَرَادَ ؛ فَقَالُوا : إِنَّا سَائِلُوكَ .

قَالَ : سَلُّوا وَلَا تُكْثِرُوا ، فَإِنَّ النَّهَارَ لَا يَرْجِعُ ، وَالْعُمُرُ لَا يَعُودُ ، وَالطَّالِبَ حَثِثْ .

قَالُوا : عَلَامَ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ؟

قَالَ : عَلَى نِيَّاتِهِمْ وَأَعْمَالِهِمْ .

قَالُوا : إِلَى أَيْنَ الْمَوْئِلِ ؟

قَالَ : إِلَى مَا قَدَّمْتُمْ .

قَالُوا : أَوْصِنَا . قَالَ : تَزَوَّدُوا عَلَى قَدَرِ سَفَرِكُمْ ، فَخَيْرُ الزَّادِ مَا بَلَغَ الْمَحَلَّ .

ثُمَّ أَرَشَدَهُمُ الْجَادَّةُ وَانْقَمَعَ .

وَقَالَ بَعْضُهُمْ : أَتَيْتُ الشَّامَ فَمَرَرْتُ بِدَيْرٍ حَرُمَةٍ فَإِذَا فِيهِ رَاهِبٌ كَأَنَّ عَيْنَيْهِ مَزَادَتَانِ ، فَقُلْتُ لَهُ : مَا يُبْكِيكَ ؟ قَالَ : يَا مُسْلِمَ ، أَبْنُكِي عَلَى مَا فَرَّطْتَ فِيهِ مِنْ عُمْرِي ، وَعَلَى يَوْمٍ يَمْضِي مِنْ أَجَلِي لَمْ يَحْسُنْ فِيهِ عَمَلِي .

١ المَزَادَةُ : جُلُودٌ يَضُمُّ بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ وَيُوضَعُ فِيهَا الْمَاءُ .

قال : ثم مررتُ بعد ذلك فسألتُ عنه ، فقيل لي : إنه قد
أسلم وغزا الرومَ وقُتِل .

قال أبو زَيْد الحِيرِيّ : قلت لثوبانَ الراهب : ما معنى
لُبْس الرّهبان هذا السواد ؟

قال : هو أشبهُ بلباس أهل المصائب .
قلت : وكلّكم معشرَ الرّهبان قد أصيب بمُصيبة ؟
قال : يَرَحِمك الله ، وهل مُصيبة أعظمُ من مصائب الذنوب
على أهلها ؟

قال أبو زَيْد : فما أذكُر قوله إلا أبكاني .

حبيبُ العَدَوِيّ عن موسى الأسْوَاريّ قال قال : لما وقعت
الْفِتْنَةُ أردتُ أن أحرزَ ديني فخرجتُ الى الأهواز ، فبلغ
أزادمرّد قُدومي ، فبعثَ إليّ متاعاً ، فلما أردتُ الانصراف
بلغني أنه ثَقِيل ، فدخلتُ عليه فإذا هو كالخُفّاش لم يَبْقَ منه
إلا رأسُه ، فقلت : ما حالُك ؟

قال : وما حال من يُريد سَفْراً بعيداً بغير زاد ، ويدخل
قبراً مُوحِشاً بلا مؤنس ، وينطلق الى ملك عدل بلا حُجّة ؟

ثم خرجتْ نفسُهُ .

الْعُتْبِيُّ قَالَ : مَرَرْتُ بِرَاهِبٍ بَاكِ فَقُلْتُ : مَا يُبْكِيكَ ؟
قَالَ : أَمْرٌ عَرَفْتُهُ وَقَصُرْتُ عَنْ طَلْبِهِ ، وَيَوْمٌ مَضَى مِنْ
عُمْرِي نَقَصَ لَهُ أَجَلِي وَلَمْ يَنْقُصْ لَهُ أَمَلِي .

كلام الزهاد وأخبار العباد

قيل لقوم من العُباد : ما أقامكم في الشَّمس ؟ قالوا :
طَلَبَ الظِّل .

قال علقمة لأسود بن يزيد : كم تُعَذِّبُ هذا الجسدَ الضَّعيف ؟
قال : لا تُشال الراحةُ إلا بالتَّعب .

وقيل لآخر : لو رفقتَ بنفسك .

قال : الخيرُ كلُّهُ فيما أُكْرِهتَ النفوسُ عليه ، قال النبيُّ ،
صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم : خُفِّتَ الجنَّةُ بالمكاره .

وقيل لِمَسْرُوقِ بْنِ الْأَجْدَعِ : لقد أضرتَ ببدنك .
قال : كرامته أريد .

وقالت له امرأته فيروز لما رأته لا يُفْطِرُ من صيام ولا
يَقْتَرُ عن صلاة : ويلك يا مَسْرُوق ! أما يَعْبُدُ اللهُ غَيْرُكَ ، أما
خُلِقْتَ النَّارُ إِلَّا لَكَ ؟

قال لها : وَيَحْكُ يا فيروز ! إن طالبَ الجنَّةِ لا يَسَامُ ،
وهاربُ النارِ لا يَنَامُ .

وشكت أم الدرداء الى أبي الدرداء الحاجة ، فقال لها :
تَصْبِرِي فَإِنَّ أَمَامَنَا عَقَبَةً كَوُوداً لَا يُجَاوِزُهَا إِلَّا أَخْفُ
الناسِ حِمْلًا .

•
ومر أبو حازم بسوق الفاكهة ، فقال : موعذك الجنة .
ومرّ بالجزّارين ، فقالوا له : يا أبا حازم ، هذا لحم سمين
فاشتر .

قال : ليس عندي ثمنه .
قالوا : نؤخرك .
قال : أنا أؤخر نفسي .
وكان رجل من العباد يأكل الرّمّان بقشره ، فقيل له :
لِمَ تَفْعَلُ هذا ؟
فقال : إنما هو عدوّ فأثخن فيه ما أمكنك .

•
وكان عليّ بن الحسين ، عليهما السلام ، إذا قام للصلاة أخذته
رعدةٌ ، فسئِلَ عن ذلك ، فقال : وَيَحْكُمُ ! أَتَدْرُونَ إِلَى مَنْ
أَقُومُ وَمَنْ أُرِيدُ أَنْ أَتَاجِيَ ؟
وقال رجل ليونس بن عبيد : هل تعلم أحداً يعمل بعمل
الحسن ؟

قال : لا والله ، ولا أحداً يقول بقوله .

وقيل لمحمد بن علي بن الحسين ، أو لعلي بن الحسين ، عليهم السلام : ما أقلَّ ولدَ أبيك !

قال : العجبُ كيف وُلِدْتُ له ! وكان يصلي في اليوم واليلة ألفَ ركعة ، فمتى كان يَتَفَرَّغُ للنساء ؟ وحجَّ خمساً وعشرين حِجَّةً راجلاً .

ولما ضُربَ سعيد بن المسيَّب وأُقيم للناس قالت له امرأة : يا شيخ ، لقد أقيمتُ مُقامَ حُزِيَّة .
فقال : من مُقامِ الحُزِيَّة فررتُ .

وشكا الناسُ إلى مالك بن دينار القحطَ ؛ فقال : أنتم تستبطئون المَطرَ وأنا أستبطنُ الحِجارة .

وشكا أهلُ الكوفة إلى الفضيل بن عياض القحطَ ؛ فقال : أمدِّبَرًا غيرَ الله تُريدون ؟

وذكر أبو حنيفة أيوب السَّخْتِيَّاني ، فقال : رحمه الله تعالى ، ثلاثاً ، لقد قَدِمَ المدينةَ مرَّةً وأنا بها ، فقلت : لأقعدنَّ إليه لعليَّ أتعلَّقَ منه بسَقْطَةٍ ، فقام بين يدي القبرَ مَقاماً ما ذكرته إلا اقشعرَّ له جلدي .

وقيل لأهل مكة : كيف كان عطاء بن أبي رباح فيكم ؟

قالوا : كان مثلَ العافية التي لا يُعرف فضلُها حتى تُفقد .
وكان عطاء أْفْطَسَ أَشَلْ أعرج ثم عَمِي ، وأمه سَوْداء
تسمّى بَرَكة .

وكان الأوقص المَخْزُومِيّ قاضياً بمكة فما رُئي مثله في
عَفافه وزُهْده ، فقال يوماً لِجِلسائه : قالت لي أُمي : يا بُني ،
إِنَّكَ خَلَقْتَ خَلِيقَةً لَا تَصْلَحُ مَعَهَا لِجَمَاعِ الْفِتْيَانِ عِنْدَ الْقِيَانِ ،
إِنَّكَ لَا تَكُونُ مَعَ أَحَدٍ إِلَّا تَخَطَّطَكَ إِلَيْهِ الْعِيُونَ ، فَعَلَيْكَ
بِالَّذِينَ فَإِنَّ اللَّهَ يَرْفَعُ بِهِ الْحَسِيسَةَ ، وَيُثِمُّ بِهِ النَّقِيسَةَ . فَنَفَعَنِي
اللَّهُ تَعَالَى بِكَلَامِهَا ، وَأَطَعْتُهَا فَوَلَّيْتُ الْقَضَاءَ .

الْفُضَيْلُ بْنُ عِيَّاضٍ قَالَ : اجْتَمَعَ مُحَمَّدُ بْنُ وَاسِعٍ وَمَالِكُ بْنُ
دِينَارٍ فِي مَجْلِسٍ بِالْبَصْرَةِ ، فَقَالَ مَالِكُ بْنُ دِينَارٍ : مَا هُوَ إِلَّا طَاعَةُ
اللَّهِ أَوْ النَّارِ .

فَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ وَاسِعٍ : مَا هُوَ كَمَا تَقُولُ ، لَيْسَ إِلَّا عَفْوُ
اللَّهِ أَوْ النَّارِ .

قَالَ مَالِكٌ : صَدَقْتَ . ثُمَّ قَالَ مَالِكٌ : إِنَّهُ يُعْجِبُنِي أَنْ يَكُونَ
لِلرَّجُلِ مَعِيشَةٌ عَلَى قَدَرِ مَا يَقْوَتُهُ .

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ وَاسِعٍ : وَلَا هُوَ كَمَا تَقُولُ ، وَلَكِنْ يُعْجِبُنِي
أَنْ يُصْبِحَ الرَّجُلُ وَلَيْسَ لَهُ غَدَاءٌ ، وَيُمْسِي وَلَيْسَ لَهُ عَشَاءٌ ،
وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ رَاضٍ عَنِ اللَّهِ .

قال مالك : ما أَحْوَجَنِي إِلَى أَنْ يُعَلِّمَنِي مِثْلَكَ .

جعفر بن سليمان قال : سمعتُ عبد الرحمن بن مَهْدِيٍّ يقول :
ما رأيتُ أَحَدًا أَفْشَفَ مِنْ شُعْبَةَ ، وَلَا أَعْبَدَ مِنْ سُفْيَانَ
الثَّوْرِيِّ ، وَلَا أَحَفَظَ مِنْ ابْنِ الْمُبَارَكِ ، وَمَا أَحَبُّ أَنْ أَلْقَى
اللَّهَ بِصَحِيفَةِ أَحَدٍ إِلَّا بِصَحِيفَةِ بِيْشْرِ بْنِ مَنْصُورٍ ، مَاتَ وَلَمْ يَدَعْ
قَلِيلًا وَلَا كَثِيرًا .

عبد الأعلى بن حمَّاد قال : دخلتُ على بِيْشْرِ بْنِ مَنْصُورٍ
وهو في الموت ، فإِذَا بِهِ مِنَ السَّرُورِ فِي أَمْرٍ عَظِيمٍ ، فَقُلْتُ لَهُ :
مَا هَذَا السَّرُورُ ؟

قال : سُبْحَانَ اللَّهِ ! أَخْرِجْ مِنْ بَيْنِ الظَّالِمِينَ وَالْبَاغِينَ وَالْحَاسِدِينَ
وَالْمُغْتَابِينَ وَأَقْدِمْ عَلَى أَرْحَمِ الرَّاحِمِينَ وَلَا أُسَرِّ ؟

حَجَّ هَارُونَ الرَّشِيدُ ، فَبَلَغَهُ عَنْ عَابِدٍ بِمَكَّةَ مُجَابَ الدَّعْوَةِ
مُعْتَزِلٍ فِي جِبَالِ تِهَامَةٍ ، فَأَتَاهُ هَارُونَ الرَّشِيدُ فَسَأَلَهُ عَنْ حَالِهِ ،
ثُمَّ قَالَ لَهُ : أَوْصِنِي وَمُرْنِي بِمَا شِئْتَ ، فَوَاللَّهِ لَا عَصِيَّتِكَ .

فَسَكَتَ عَنْهُ وَلَمْ يَرُدَّ عَلَيْهِ جَوَابًا . فَخَرَجَ عَنْهُ هَارُونَ ،
فَقَالَ لَهُ أَصْحَابُهُ : مَا مَنَعَكَ إِذْ سَأَلَكَ أَنْ تَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ ،

وقد حَلَفَ أن لا يَعْصِيكَ ، أن تأمرَه بتقوى الله والإِحسان
إلى رعيَّتِه ؟

فَخَطَّ لهم في الرَّمْلِ : إني أعظمتُ الله أن يكونَ يَأمرُه
فَيَعْصِيه وآمرُه أنا فيطيعني .

عليّ بن حمزة ابن أخت سُفيان الثوري قال : لما مَرَضَ
سُفيان مَرَضَه الذي مات فيه ذهبْتُ ببَوْلِه إلى دِيرانيّ ، فأرَيْتِه
إياه ، فقال : ما هذا ببول حَنيفي .

قلت : بلى والله ، من خِيَارهم .

قال : فأنا أذهب معك إليه .

قال : فدخل عليه وجَسَّ عِرْقَه ، فقال : هذا رجلٌ قَطَعَ
الْحُزْنَ كَبِدَه .

الأصمعي عن ابن عَوْن قال : رأيت ثلاثة لم أَرَ مثْلهم :
محمد بن سيرين بالعراق ، والقاسم بن محمد بالحجاز ، ورجاء بن
حيوة بالشام .

العُتْبِيّ قال : سمعت أسيافنا يقولون : انتهى الزُّهْدُ إلى
ثمانية من التابعين : عامر بن عبد القيس ، والحسن بن أبي الحسن
البصريّ ، وهَرَم بن حيّان ، وأبي مُسْلِم الحولاني ، وأُوَيْس
القرَنيّ ، والرَّبِيع بن خُشَيْم ، ومَسْرُوق بن الأجدع ، والأسود
ابن يزيد .

كيف يكون الزهد

العُتْبِيُّ يرفعه قال : قيل لرسول الله ، صلى الله عليه وسلم :
ما الزُّهْدُ في الدنيا ؟

قال : أما إنه ما هو بتَحْرِيمِ الْحَلَالِ ، ولا إِضَاعَةِ الْمَالِ ،
ولكنَّ الزُّهْدَ في الدنيا أن تكون بما في يد الله أغنى منك عما
في يدك .

وقيل للزُّهْرِيِّ : ما الزُّهْدُ ؟

قال : أما إنه ليس تَشْعِيثُ اللَّمَمَةِ ، ولا قَشْفُ الْهَيْئَةِ ،
ولكنَّه صَرْفُ النَّفْسِ عَنِ الشَّهْوَةِ .

وقيل لآخر : ما الزُّهْدُ في الدنيا ؟

قال : أن لا يَغْلِبَ الْحَرَامُ صَبْرَكَ ، ولا الْحَلَالُ شُكْرَكَ .



وقيل لرسول الله ، صلى الله عليه وسلم : يا رسول الله ، مَنْ
أزهدُ النَّاسِ في الدنيا ؟

قال : مَنْ لَمْ يَنْسِ الْمَقَابِرَ وَالْبَلِيَّ ، وَآثَرَ مَا يَبْقَى عَلَى مَا
يَفْنَى ، وَعَدَّ نَفْسَهُ مَعَ الْمَوْتَى .

وقيل لمحمد بن واسع : مَنْ أَزْهَدُ النَّاسِ فِي الدُّنْيَا ؟
قال : مَنْ لَا يَبَالِي بِبَيْدِ مَنْ كَانَتْ الدُّنْيَا .
وقيل للخليل بن أحمد : مَنْ أَزْهَدُ النَّاسِ فِي الدُّنْيَا ؟
قال : مَنْ لَمْ يَطْلُبِ الْمَفْقُودَ حَتَّى يَفْقِدَ الْمَوْجُودَ .

وقال النبي ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : الزُّهْدُ فِي الدُّنْيَا مِفْتَاحُ
الرَّغْبَةِ فِي الْآخِرَةِ ، والرَّغْبَةُ فِي الدُّنْيَا مِفْتَاحُ الزُّهْدِ فِي الْآخِرَةِ .
وقالوا : مَثَلُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ كَمَثَلِ رَجُلٍ لَهُ امْرَأَتَانِ
ضَرَّتَانِ ، إِنْ أَرْضَى إِحْدَاهُمَا أَسْخَطَ الْأُخْرَى .

وقال النبي ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : مَنْ جَعَلَ الدُّنْيَا أَكْبَرَ
هَمِّهِ نَزَعَ اللهُ خَوْفَ الْآخِرَةِ مِنْ قَلْبِهِ ، وَجَعَلَ الْفَقْرَ بَيْنَ عَيْنَيْهِ ،
وَشَغَلَهُ فِيمَا عَلَيْهِ لَا لَهُ .

وقال ابنُ السَّمَاكِ : الزَّاهِدُ الَّذِي إِنْ أَصَابَ الدُّنْيَا لَمْ يَفْرَحْ ،
وَإِنْ أَصَابَتْهُ الدُّنْيَا لَمْ يَحْزَنْ ، يَضْحَكُ فِي الْمَلَا ، وَيَبْكِي فِي
الْحَلَا . وقال الفضيل : أَصْلُ الزُّهْدِ فِي الدُّنْيَا الرِّضَا عَنْ اللهِ تَعَالَى .

صفة الدنيا

قال رجلٌ لعلِّي بن أبي طالب، كرم الله وجهه : يا أمير المؤمنين ، صف لنا الدنيا .

قال : ما أصِف من دارٍ أولُها عناء ، وآخرُها فناء ؛ حلالُها حساب ، وحرامُها عقاب ؛ مَنْ استغنى فيها فُتِنَ ، ومن افتقر فيها حَزِنَ .

قيل لأرسطاطاليس : صف لنا الدنيا .

فقال : ما أصِف من دارٍ أولُها فَوْتُ ، وآخرُها مَوْتُ .
وقيل لحكيم : صف لنا الدنيا .

قال : أَمَلٌ بين يديك ، وأَجَلٌ مُطِلٌّ عَلَيْكَ ، وشَيْطَانٌ فَتَّانٌ ، وأَمَانِيٌّ جَرَّارَةٌ العِنانِ ؛ تدعوك فتستجيب ، وترجوها فتخيّب .

وقيل لعامر بن عبد القيس : صف لنا الدنيا .

قال : الدنيا والدةٌ للموت ، ناقضةٌ للمُبْرَمِ ، مُرْجعةٌ للعطية ، وكلُّ مَنْ فيها يجري الى ما لا يدري .

وقيل لبكر بن عبد الله المزني : صف لنا الدنيا .

فقال : ما مَضَى منها فحُلِّم ، وما بَقِيَ فأَمَانِي .

وقيل لعبد الله بن ثعلبة : صِف لنا الدنيا .

قال : أَمْسُك مَذْمُومَ مَنْكَ ، ويَوْمُكَ غَيْرَ مَحْمُودٍ لَكَ ،
وَعَدَّكَ غَيْرَ مَأْمُونٍ عَلَيْكَ .

وقال النبي ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : الدنيا سِجْنُ الْمُؤْمِنِ
وَجَنَّةُ الْكَافِرِ .

وقال : الدنيا عَرْضٌ حَاضِرٌ ، يَأْكُلُ مِنْهُ الْبَرُّ وَالْفَاجِرُ ،
وَالْآخِرَةُ وَعْدٌ صَدَقَ يَحْكُمُ فِيهَا مَلِكٌ قَادِرٌ ، يَفْصِلُ الْحَقَّ مِنَ الْبَاطِلِ .

وقال : الدنيا خَضِرَةٌ حُلْوَةٌ ، فَمَنْ أَخَذَهَا بِحَقِّهَا بُورِكَ لَهُ
فِيهَا ، وَمَنْ أَخَذَهَا بِغَيْرِ حَقِّهَا كَانَ كَأَلَاكِيلِ الَّذِي لَا يَشْبَعُ .

وقال ابنُ مَسْعُودٍ : ليس من الناس أَحَدٌ إِلَّا وَهُوَ ضَيْفٌ
عَلَى الدُّنْيَا وَمَالُهُ عَارِيَةٌ ، فَالضَّيْفُ مُرْتَحِلٌ ، وَالْعَارِيَةُ مُرَدُودَةٌ .

وقال المسيح ، عَلَيْهِ السَّلَامُ : الدنيا لِإِبْلِيسَ مَزْرَعَةٌ وَأَهْلُهَا
حُرَّاثٌ .

وقال إبليسُ : مَا أُبَالِي إِذَا أَحَبَّ النَّاسُ الدُّنْيَا أَنْ لَا يَعْبُدُوا
صَنَمًا وَلَا وَثَنًا ، الدُّنْيَا أَفْتَنُ لَهُمْ مِنْ ذَلِكَ .

وكان النبي ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، يُسَمِّي الدُّنْيَا أُمَّ ذَفَرٍ .
وَالذَفَرُ : النَّتْنُ .

وقال النبي ، صلى الله عليه وسلم ، للضحَّاك بن سُفيان :
ما طعامُك ؟

قال : اللحم واللبن .

قال : ثم إلى ماذا يصير ؟

قال : يصير إلى ما قد علمت .

قال : فإنَّ الله ، عزَّ وجلَّ ، ضَرَبَ ما يخرج من ابن آدم
مثلاً للدنيا .

وقال المسيحُ ، عليه السلام ، لأصحابه : اتخذوا الدنيا قنطرة
فاعبروها ولا تعمروها .

وفي بعض الكتب : أوحى الله إلى الدنيا : مَنْ خَدَمَنِي
فاخدمْني ، ومن خدمك فاستخدميه .

وقيل لنوح ، عليه السلام : يا أبا البشر يا طَوِيلَ العُمُر ،
كيف وجدتَ الدنيا ؟

قال : كَبَيْتٍ له بابان ، دخلتُ من أحدهما وخرجتُ
من الآخر .

وقال لقمان لابنه : إنَّ الدنيا بَحْرٌ عريض ، قد هلك فيه
الأوَّلون والآخرون ، فإن استطعت فاجعل سَفِينَتَكَ تقوى الله ،
وعُدَّتَكَ التوكل على الله ، وزادك العمل الصالح ، فإن نجوت
فبرحمة الله ، وإن هلكت فبذنوبك .

وقال محمد بن الحنفية : من كُرُمَتْ عَلَيْهِ نَفْسُهُ هَانَتْ عَلَيْهِ الدُّنْيَا .

وقال : إِنَّ الْمُلُوكَ خَلَّوْا الْكَمَ الْحِكْمَةَ فِخَلُّوا لَهُمُ الدُّنْيَا .
وقيل لمحمد بن واسع : إِنَّكَ لَتَرْضَى بِالذُّنُونِ .

قال : إِنَّمَا رَضِيَ بِالذُّنُونِ مَنْ رَضِيَ بِالْدُّنْيَا .

وقال المسيح ، عليه الصلاة والسلام ، للحواريين : أَنَا الَّذِي كَفَّاتُ الدُّنْيَا عَلَى وَجْهِهَا ، فَلَيْسَ لِي زَوْجَةٌ تَمُوتُ وَلَا بَيْتٌ يَخْرُبُ .
شكا رجل إلى يونس بن عبيد وَجَعًا يَجِدُهُ ، فَقَالَ لَهُ : يَا عَبْدَ اللَّهِ ، هَذِهِ دَائِرٌ لَا تُتَوَافَقُ ، فَالْتَمَسْ لَكَ دَارًا تُتَوَافَقُ .

لقي رجلٌ راهباً ، فقال : يَا رَاهِبَ ، صِفْ لَنَا الدُّنْيَا .
فقال : الدُّنْيَا تُخْلِقُ الْأَبْدَانَ ، وَتُجَدِّدُ الْأَمَالَ ، وَتُبَاعِدُ الْأُمْنِيَّةَ ، وَتُقَرِّبُ الْمُنِيَّةَ .

قال : فَمَا حَالُ أَهْلِهَا ؟

قال : مَنْ ظَفَرَ بِهَا تَعَبَ ، وَمَنْ فَاتَتْهُ نَصَبَ .

قال : فَمَا الْغِنَى عَنْهَا ؟ قال : قَطَعَ الرَّجَاءَ مِنْهَا .

قال : فَأَيْنَ الْمَخْرَجُ ؟

قال : فِي سُلُوكِ الْمُنْهَجِ .

قال : وَمَا ذَاكَ ؟

قال : بَذْلُ الْمَجْهُودِ ، وَالرِّضَا بِالْمَوْجُودِ .

قال الشاعر :

ما الناسُ إلا مع الدنيا وصاحبها ،
فحيثما انقلبْتَ يوماً به انقلبوا
يُعْظَمُونَ أخوا الدنيا ، وإن وثبت ،
يوماً عليه بما لا يَشْتَهِي ، وثبوا

وقال آخر :

يا خاطبَ الدنيا إلى نفسه ، تَنَحَّ عن خِطْبَتِها تَسْلَمَ
إنَّ التي تَخْطُبُ غَرَّارَةً ، قَرِيبَةُ العُرْسِ من المَأْتَمِ

داود بن المُحَبَّر قال : أخبرنا عبدُ الواحد بن الخطاب قال :
أقبلنا قافلين من بلاد الرُّوم ، حتى إذا كُنَّا بين الرُّصافة وحمص
سمعنا صوتاً من تلك الجبال ، تسمعه آذاننا ولا تبصره
أبصارنا ، يقول : يا مَسْتُور يا مَحْفُوظ ، انظر في سِتْر مَنْ
وحِفْظ مَنْ أنت ، إنما الدنيا شوك ، فانظر أين تَضَع قَدَميك منها .

وقال أبو العتاهية :

رَضِيتُ بذِي الدنيا كَكُلِّ مُكَاثِر ،
مُلِحِّ عَلَى الدنيا ، وكلِّ مُفَاخِر

أَلَمْ تَرَهَا تَسْقِيهِ ، حَتَّى إِذَا صَبَا ،
فَرَّتْ حَلَقَهُ مِنْهَا بِشَفْرَةٍ جَازِرٍ؟^١

وَلَا تَعْدِلُ الدُّنْيَا جَنَاحَ بَعُوضَةٍ ،
لَدَى اللَّهِ ، أَوْ مَقْدَارَ نَغْبَةٍ طَائِرٍ؟^٢

فَلَمْ يَرْضَ بِالدُّنْيَا ثَوَابًا لِمُؤْمِنٍ ؛
وَلَمْ يَرْضَ بِالدُّنْيَا عِقَابًا لِكَافِرٍ

•
وَقَالَ أَيْضًا :

هِيَ الدُّنْيَا ، إِذَا كَمَلْتُ ، وَتَمَّ سُرُورُهَا خَدَلْتُ
وَتَفْعَلُ فِي الَّذِينَ بَقُوا ، كَمَا فَعِمَنْ مَضَى فَعَلْتُ

•
وَقَالَ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ يَصِفُ الدُّنْيَا :

لَقَدْ غَرَّتِ الدُّنْيَا رَجَالًا ، فَأَصْبَحُوا
بِمَنْزِلَةٍ مَا بَعْدَهَا مُتَحَوِّلٌ

فَسَاخِطٌ أَمْرٌ لَا يُبَدَّلُ غَيْرُهُ ؛
وَرَاضٍ بِأَمْرٍ غَيْرِهِ سَيُبَدَّلُ

١ صبا : اخذته جهلة الفتوة . فرت : شقت . الجازر : الناحر .

٢ النغبة : الحسوة يحسوها الطائر من الماء .

وبالغُ أمرُ كان يأملُ دونه؛
ومُخْتَرَمٌ من دون ما كان يأملُ

وقال هارون الرشيد : لو قيل للدنيا صفي لنا نفسك ، وكانت
ممن يَنْطِقُ ، ما وصفت نَفْسَهَا بأكثر من قول أبي نُواس :

إذا امتحن الدنيا لبيبٌ ، تكشفت
له عن عَدُوٍّ ، في ثياب صديقٍ
ومما الناسُ إلا هالكٌ وابنُ هالكٍ ،
وذو نَسَبٍ ، في الهالكين ، عريقٍ

وقال آخر في صفة الدنيا :

فَرَحْنَا ، وراح الشَّامِتُونَ عَشِيَّةً ،
كَأَنَّ عَلَى أَكْتافِنَا فِلَقَ الصَّخْرِ
لما الله دُنِيا يَدْخُلُ النارَ أَهْلُهَا ،
وَتَهْتِكُ ما بين الأَقاربِ من سِتْرِ

ولأبي العتاهية :

كُلُّنَا يُكْثِرُ المِلامَةَ لِلدُّنْيَا ، وكلُّ مُجِبِّهَا مَفْتُونٌ

١ المحترم : الهالك .

والمقاديرُ لا تناوُلُها الأوْهُ هَامٌ، لُطْفًا، ولا تراها العُيونُ
ولِرَكِبِ الفناءِ في كلِّ يومٍ، حَرَكَاتٌ كَأَنَّهُنَّ سُكُونُ

ومن قولنا في وصف الدنيا :

ألا إِنَّمَا الدُّنْيَا نِضَارَةٌ أَيْكَةٌ،
إِذَا اخْضَرَّتْ مِنْهَا جَانِبٌ جَفَّ جَانِبٌ

هِيَ الدَّارُ، مَا الْآمَالُ إِلَّا فَجَائِعٌ
عَلَيْهَا، وَلَا اللَّذَاتُ إِلَّا مَصَائِبُ

فَكَمْ سَخُنَتْ بِالْأَمْسِ عَيْنٌ قَرِيرَةٌ؛
وَقَرَّتْ عُيُونٌ دَمَعُهَا الْيَوْمَ سَاكِبٌ

فَلَا تَكْتَحِلْ عَيْنَاكَ فِيهَا بَعْبُرَةً،
عَلَى ذَاهِبٍ مِنْهَا، فَإِنَّكَ ذَاهِبٌ

وقال أبو العتاهية :

أَصْبَحَتِ الدُّنْيَا لَنَا فِتْنَةً؛ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى ذَلِكَ
قَدْ أَجْمَعَ النَّاسُ عَلَى ذِمَّتِهَا، وَلَا أَرَى مِنْهُمْ لَهَا تَارِكًا

وقال إبراهيم بن أدهم :

نُرَقِّعُ دُنْيَانَا بِتَمْزِيقِ دِينِنَا ،
فَلَا دِينُنَا يَبْقَى ، وَلَا مَا نُرَقِّعُ

وما سمعتُ في صفة الدنيا والسبب الذي يُحِبُّهَا النَّاسُ لِأَجَلِهِ
بِأَبْلَغِ مِنْ قَوْلِ الْقَائِلِ :

نُرَاعِ بِذِكْرِ الْمَوْتِ فِي حِينِ ذِكْرِهِ ،
وَتَعْتَرِضُ الدُّنْيَا ، فَتَنْلَهُوْا وَتَلْعَبُ

وَنَحْنُ بَنُو الدُّنْيَا خُلِقْنَا لَهَا ،
وَمَا كُنْتُمْ مِنْهُ ، فَهُوَ شَيْءٌ مُحَبَّبٌ

فذكر أنَّ النَّاسَ بَنُو الدُّنْيَا وَمَا كَانَ الْإِنْسَانُ مِنْهُ فَهُوَ مُحَبَّبٌ إِلَيْهِ .
وَأَعْلَمُ أَنَّ الْإِنْسَانَ لَا يُحِبُّ شَيْئًا إِلَّا أَنْ يُجَانِسَهُ فِي بَعْضِ
طَبَائِعِهِ ، وَأَنَّ الدُّنْيَا جَانَسَتْ الْإِنْسَانَ فِي طَبَائِعِهِ كُلِّهَا فَأَحَبَّهَا
بِكُلِّ أَطْرَافِهِ .

وقال بعضُ ولدِ ابنِ شُبْرُمَةَ : كُنْتُ مَعَ أَبِي جَالِسًا قَبْلَ أَنْ
يَلِيَ الْقَضَاءَ ، فَمَرَّ بِهِ طَارِقُ بْنُ أَبِي زِيَادٍ فِي مَوْكَبِ نَبِيلٍ ، فَلَمَّا
رَأَاهُ أَبِي تَنَفَّسَ الصُّعْدَاءَ وَقَالَ :

أراها ، وإنْ كانت تُحَبُّ ، كأنها
سحابةٌ صَيْفٍ ، عن قَلِيلٍ ، تَقْشَعُ

ثم قال : اللهم لي ديني ولهم دُنياهم .

فلما ابْتُلي بالقضاء ، قلتُ : يا أبتِ ، أتذكر يومَ طارق ؟
فقال : يا بُني ، إنهم يَجِدُونَ خَلْفاً من أبِكَ وإنَّ أباك لا
يَجِدُ خَلْفاً منهم ، إن أباك خَطَبَ في أهوائهم ، وأكل من
حَلَوائهم .

وقال الشَّعبي : ما رأيتُ مَثَلَنَا وَمَثَلَ الدُّنيا إلا كما قال
كُثَيِّرُ عَزَّةَ :

أَسِيئِي بِنَا ، أَوْ أَحْسِنِي ، لا مَلُومَةٌ
لَدِينَا ، ولا مَقْلِيَّةٌ إِنْ تَقَلَّتْ

وأحكمُ بيتٍ قِيلَ في تَمَثُّيلِ الدُّنيا قولُ الشاعر :

وَمَنْ يَأْمَنَ الدُّنيا يَكُنْ مِثْلَ قَابِضٍ
عَلَى الْماءِ ، خَانَتْهُ فُرُوجُ الْأَصَابِعِ

١ تقلت : تبغضت . وفيه النفات من الخطاب الى الغيبة .

وَحَدَّثَ الْعَبَّاسُ بْنُ الْفَرَجِ الرِّيشِيُّ قَالَ : رَأَيْتُ الْأَصْمَعِيَّ
يُنْشِدُ هَذَا الْبَيْتَ وَيَسْتَحْسِنُهُ فِي صِفَةِ الدُّنْيَا :

مَا عُدُّرُ مُرْضِعَةٍ ، بَكَاءُ سِ الْمَوْتِ ، تَقْطِمُ مَنْ عَذَتْ

وَلِقَطْرِيَّ بْنِ الْفُجَاءَةِ فِي وَصْفِ الدُّنْيَا خُطْبَةً مُجَرَّدَةً
تَقَعُ فِي جُمْلَةِ الْخُطَبِ فِي كِتَابِ الْوَاسِطَةِ .

قولهم في الخوف

سُئِلَ ابْنُ عَبَّاسٍ عَنِ الْخَائِفِينَ لِلَّهِ ، فَقَالَ : هُمُ الَّذِينَ صَدَقُوا اللَّهَ فِي مَخَافَةِ وَعِيدِهِ ، فَقُلُوبُهُمْ بِالْخَوْفِ قَرِيحَةٌ ، وَأَعْيُنُهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ بَاكِيةٌ ، وَدُمُوعُهُمْ عَلَى خُدُودِهِمْ جَارِيَةٌ ؛ يَقُولُونَ : كَيْفَ نَفْرَحُ وَالْمَوْتُ مِنْ وَرَائِنَا ، وَالْقُبُورُ مِنْ أَمَامِنَا ، وَالْقِيَامَةُ مَوْعِدُنَا ، وَعَلَى جَهَنَّمَ طَرِيقُنَا ، وَبَيْنَ يَدَيِ رَبِّنَا مَوْقِفُنَا ؟

•
وَقَالَ عَلِيٌّ ، كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ : أَلَا إِنَّ اللَّهَ عِبَادًا مُخْلِصِينَ ، كَمَنْ رَأَى أَهْلَ الْجَنَّةِ فِي الْجَنَّةِ فَاكِهِينَ ، وَأَهْلَ النَّارِ فِي النَّارِ مُعَذِّبِينَ ، شُرُورَهُمْ مَأْمُونَةٌ ، وَقُلُوبُهُمْ مَحْزُونَةٌ ، وَأَنْفُسُهُمْ عَفِيفَةٌ ، وَحَوَائِجُهُمْ خَفِيفَةٌ ، صَبَرُوا أَيَّامًا قَلِيلَةً ، لِعُقُوبَتِي رَاحَةً طَوِيلَةً ؛ أَمَّا بِاللَّيْلِ فَصَفَّوْا أَقْدَامَهُمْ فِي صَلَاتِهِمْ ، تَجْرِي دُمُوعُهُمْ عَلَى خُدُودِهِمْ ، يَجْأَرُونَ إِلَى رَبِّهِمْ : رَبَّنَا رَبَّنَا ، يَطْلُبُونَ فَكَأَكْ قُلُوبِهِمْ ؛ وَأَمَّا بِالنَّهَارِ فَعُلَمَاءُ حُلَمَاءُ ، بَرَّةٌ أَتْقِيَاءُ ، كَأَنَّهُمُ الْقِدَاحُ - الْقِدَاحُ : السَّهَامُ ، يَرِيدُ فِي ضَمَرَتِهَا - يَنْظُرُ إِلَيْهِمُ النَّاضِرُ فَيَقُولُ : مَرَضَى ، وَمَا بِالْقَوْمِ مِنْ مَرَضٍ ، وَيَقُولُ : خُوطُوا ، وَلَقَدْ خَالَطَ الْقَوْمَ أَمْرٌ عَظِيمٌ .

وقال منصور بن عَمَّار في مجلس الزهد : إن لله عباداً جعلوا
ما كُتِبَ عليهم من الموتِ مثلاً بين أعينهم ، وقَطَعُوا الأسبابَ
المتَّصلةَ بقلوبهم من علائق الدنيا ، فهم أنضاءُ عبادته ، حُلَفَاءُ
طاعته ، قد نَضَحُوا خُدودهم بوابل دُموعهم ، وافتَرشوا جباههم
في محاريبهم ، يُناجون ذا الكِبَرِياء والعِظَمَةِ في فَسْكَ رِقابهم .

ودخل قوم على عُمر بن عبد العزيز يعودونه في مرضه ،
وفيههم شابٌّ ذابِلٌ ناحِلٌ . فقال له عُمر : يا فتى ، ما بلغ بك
ما أرى ؟

قال : يا أمير المؤمنين ، أمراضٌ وأسقام .

قال له عمر : لَتَصْدُقَنِّي .

قال : بلى يا أمير المؤمنين ، دُقت يوماً حلاوةَ الدنيا فوجدتها
مُرَّةً عواقبُها ، فاستوى عندي حَجَرُها وزَهَبُها ، وكأني
أنظر إلى عَرُشِ رَبِّنا بارزاً ، وإلى الناس يُساقون إلى الجنة والنار ،
فأظمأتُ نَهاري ، وأسهرتُ ليلي ، وقليلٌ كلُّ ما أنا فيه في
جَنبِ ثوابِ الله وخوفِ عقابه .

وقال ابن أبي الحَواريّ : قلتُ لسُفيان : بلغني في قول
الله ، تبارك وتعالى : « إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ » الذي
يَلْقَى رَبَّهُ وليس فيه أحدٌ غيره .

فبكى وقال : ما سمعتُ منذ ثلاثين سنةً أحسنَ من هذا التفسير .

وقال الحسنُ : إنَّ خوفَكَ حتى تلقى الأَمَنَ خيرٌ من أَمْنِكَ حتى تلقى الخوفَ .

وقال : ينبغي أن يكون الخوفُ أغلبَ على الرجاء ، فإنَّ الرجاءَ إذا غلبَ الخوفَ فسَدَ القلبُ .

وقال : عجباً لمن خافَ العقابَ ولم يكفَّ ، ولمن رجا الثوابَ ولم يعمل .

وقال عليُّ بن أبي طالب ، كرَّم الله وجهه ، لرجل : ما تصنع ؟ فقال : أرجو وأخاف ؛ قال : مَنْ رجا شيئاً طلبه ، ومن خاف شيئاً هرب منه .

وقال الفضيل بن عياض : إني لأستحي من الله أن أقول : تَوَكَّلْتُ على الله ، ولو توكلت عليه حقَّ التوكل ما خفتُ ولا رجوتُ غيره .

وقال : من خاف الله أخاف الله منه كلَّ شيء ، ومن لم يخف الله أخافه الله من كل شيء .

وقال : وعدُّ من الله لمن خافه أن يُدْخِلَه الله الجنة ؛ وتلا قوله عزَّ وجلَّ : « وَلِمَنْ خافَ مَقامَ رَبِّهِ جَنَّاتٌ . »

وقال عمر بن ذرّ : عبادَ الله ، لا تَغْتَرُّوا بطولِ حِلْمِ الله ،
واحذروا أَسْفَهه ، فإنه قال ، عزّ وجلّ : « فلمّا آسفونا انتقمنا
منهم فأغرّقناهم أجمعين . فجعلناهم سلفاً ومثلاً للآخرين . »

وقال محمد بن سلامّ : سمعتُ يونس بن حبيب يقول :
لا تأمنَ مَنْ قطعَ في خمسةِ دراهمِ أَشْرَفَ عُضْوِ فِيك أن
تكونَ عُقُوبَتُهُ في الآخرةِ أضعافَ ذلك .

وقال الربيعُ بنُ خُثَيم : لو أنّ لي نَفْسَيْنِ إذا غَلِقَتْ
إحداهما سَعَتِ الأخرى في فِكاكِها ، ولكنها نفس واحدة ،
فإن أنا أوثقتُها مَنْ يَفْكُها ؟

وفي الحديث : مَنْ كانت الدنيا هَمَّهُ طال في الآخرةِ غَمُّهُ ،
ومَنْ أُخْلِيفَ الوعيدَ لها عما يُريد ، ومن خاف ما بين يَدَيْهِ ضاقَ
ذرعاً بما في يَدَيْهِ .

وقال محمود الوراق :

يا غافلاً تَرْنُو بِعَيْنَيْ راقِدٍ ،
ومُشَاهِدٍ للأمرِ غَيْرَ مُشَاهِدٍ

تَصِلُ الذُّنُوبُ إلى الذُّنُوبِ ، وترتَجِي
دَرَكَ الجِنانِ بها ، وفَوْزَ العابِدِ

وَنَسِيتَ أَنَّ اللَّهَ أَخْرَجَ آدَمَ
مِنْهَا ، إِلَى الدُّنْيَا ، بِذَنْبٍ وَاحِدٍ

•
وَقَالَ نَابِغَةُ بَنِي سَيْبَانَ :

إِنَّ مَنْ يَرْكَبُ الْفَوَاحِشَ سِرًّا ،
حِينَ يَخْلُو بِسِرِّهِ ، غَيْرُ خَالِي

كَيْفَ يَخْلُو ، وَعِنْدَهُ كَاتِبَاهُ ،
شَاهِدَاهُ ، وَرَبُّهُ ذُو الْجَلَالِ ؟

قولهم في الرجاء

قال العلماء : لا تشهد على أحد من أهل القبلة بجنة ولا بنار ، يُرْجَى للمُحْسِن وَيُخَافُ عليه ، وَيُخَافُ على المُسِيءِ وَيُرْجَى له .

وفي الحديث المرفوع : إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ وَلَا يُعَيِّرُ ، وَالنَّاسُ يُعَيِّرُونَ وَلَا يَغْفِرُونَ .

وفي حديث آخر : لَا تُكْفِّرُوا أَهْلَ الذُّنُوبِ .

•
وَتُؤَفِّي رَجُلٌ فِي عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَكَانَ مُسْرِفًا عَلَى نَفْسِهِ ، فَرَفَعَ بِرَأْسِهِ وَهُوَ يَجُودُ بِنَفْسِهِ ، فَإِذَا أَبَوَاهُ يَبْكِيَانِ عِنْدَ رَأْسِهِ ، فَقَالَ : مَا يُبْكِيكُمَا ؟
قَالَا : نَبْكِي لِإِسْرَافِكَ عَلَى نَفْسِكَ .

قال : لَا تَبْكِيَا ، فَوَاللَّهِ مَا يَسُرُّنِي أَنَّ الَّذِي بِيَدِ اللَّهِ مِنْ أَمْرِي بِأَيْدِيكُمَا .

ثم مات . فَأَتَى جَبْرَيْلُ ، عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ، النَّبِيَّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَأَخْبَرَهُ أَنَّ قَتَى تُوَفِّي الْيَوْمَ فَأَشْهَدَهُ بِأَنَّهُ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ .

فسأل رسولُ الله ، صَلَّى الله عليه وسلّم ، أبويه عن عمله ،
فقالا : ما عَلِمْنَا عنده شيئاً من خَيْرٍ إِلَّا أَنه قال لنا عند الموت
كذا وكذا .

فقال رسولُ الله ، صَلَّى الله عليه وسلّم : من هاهنا أوتي ،
إِنَّ حُسْنَ الظَّنِّ بالله من أَفْضَلِ الْعَمَلِ عنده .

وتُوفِّيَ رجلٌ بجوار ابنِ ذَرٍّ وكان مُسْرِفاً على نفسه ،
فتَحَامَى الناسُ من جنازته ، وبلغ ذلك عُمرَ بنِ ذَرٍّ ، فأوصى
أَهْلَهُ : إِذَا جَهَّزْتُمُوهُ فَأَذِنُونِي ، ففعلوا ، فَشَهِدَهُ والناسُ معه ،
فلما أُدْلِيَ وَقَفَ على قبره فقال : رَحِمَكَ اللهُ أَبَا فُلان ، فلقد
صَحِبْتَ عُمرَكَ بالتَّوْحِيدِ ، وَعَفَّرْتَ وَجْهَكَ لِلَّهِ بالسُّجُودِ ،
فإِنْ قالوا مُذْنِبٌ وذو خَطايا ، فمن مِثْلٍ غيرِ مُذْنِبٍ وغيرِ
ذِي خَطايا ؟

وتمثَّلَ معاوية عند الموت بهذا البيت :

هو الموتُ لَا مَنَجى من الموت ، والذي
نُحَاذِرُ بعد الموت أَنكُى وَأَفْظَعُ

ثم قال : اللهم فأقِلِ العِثْرَةَ ، واعفُ عن الزَّلَّةِ ، وعُدْ
بِحِلْمِكَ على جهل من لم يَرْجُ غيرَكَ ، ولم يَشِقْ إِلَّا بك ، فإنك
واسعُ المَغْفِرَةِ . يا رب ، أَيْنَ لذي الخَطَايَا مَهْرَبٌ إِلَّا إِلَيْكَ ؟

قال داود بن أبي هند : فبلغني أن سعيد بن المسيّب قال
حين بلغه ذلك : لقد رغب الى مَنْ لا مرغب إلا إليه كرهًا ،
وإني أرجو من الله له الرحمة .

الأصمعيُّ قال : سمعتُ أعرابياً يقول في دعائه وابتهاله :
إلهي ، ما توهمتُ سعة رحمتك ، إلا وكانت نعمة عفوكم تفرع
مسامعي : أن قد غفرتُ لك . فصدّق ظني بك ، وحقّق
رجائي فيك يا إلهي .

ومن أحسن ما قيل في الرجاء هذا البيت :
وإني لأرجو الله ، حتى كأنني
أرى ، بجميل الظنّ ، ما الله صانعُ

قولهم في التوبة

مرَّ المسيحُ بن مريم ، عليه السلام ، بقوم من بني اسرائيل
يَبْكُون ، فقال لهم : ما يُبْكِيكم ؟
قالوا : نَبْكِي لذنوبنا .
قال : اتركوها تُعْفَرْ لكم .

●

وقال عليُّ بن أبي طالب ، كرَّم الله وجهه : عجباً لمن يَهْلِك
ومعه النجاة !

قيل له : وما هي ؟
قال : التوبة والاستغفار .

●

وقالوا : كان شابٌّ من بني اسرائيل قد عبدَ الله عشرين
حِجَّةً ثم عصاه عشرين حِجَّةً ، فبينما هو في بَيْتِه يتراءى في
مِرَاتِه نَظَرَ الى الشَّيْب في لِحْيَتِه فساءَهُ ذلك فقال : إلهي ،
أطعْتُكَ عشرين سنةً ، وعَصَيْتُكَ عشرين سنةً ، فإن رجعتُ إليك
تَقْبَلْنِي ؟ فسمع صوتاً من زاوية البيت ولم يرَ شَخْصاً : أَحْبَبْتَنَا

فَأَحْبَبْنَاكَ ، وَتَرَكْنَا فِتْرَ كُنَاكَ ، وَعَصَيْنَا فَأَمْهَلْنَاكَ ، وَإِنْ رَجَعْتَ إِلَيْنَا قَبِلْنَاكَ .

عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْعَلَاءِ قَالَ : خَرَجْنَا حُجَّاجًا مِنَ الْمَدِينَةِ ، فَلَمَّا كُنَّا بِالْحُلَيْفَةِ أَنْزَلَنَا ، فَوَقَفَ عَلَيْنَا رَجُلٌ عَلَيْهِ أَثَوَابٌ رَثَّةٌ لَهُ مِنْظَرٌ وَهَيْئَةٌ ، فَقَالَ : مَنْ يَبْغِي خَادِمًا ؟ مَنْ يَبْغِي سَاقِيًا ؟ مَنْ يَمْلَأُ قِرْبَةً أَوْ إِدَاوَةً ؟

فَقُلْنَا : دُونَكَ هَذِهِ الْقِرْبَ فَاْمَلَّأَهَا .

فَأَخَذَهَا وَانْطَلَقَ ، فَلَمْ يَلْبِثْ إِلَّا يَسِيرًا حَتَّى أَقْبَلَ ، وَقَدْ اِمْتَلَأَتْ أَثَوَابُهُ طِينًا ، فَوَضَعَهَا وَهُوَ كَالْمَسْرُورِ الضَّاحِكِ ثُمَّ قَالَ : لَكُمْ غَيْرُ هَذَا ؟ قُلْنَا : لَا ؛ وَأَطْعَمْنَاهُ قَارِصًا حَازِرًا ، فَأَخَذَهُ ، وَحَمِدَ اللَّهَ وَشَكَرَهُ ، ثُمَّ اعْتَزَلَ وَقَعَدَ يَأْكُلُ أَكْلَ جَائِعٍ ، فَأَذْرَكَتْنِي عَلَيْهِ الرَّقَّةُ ، فَقَمْتُ إِلَيْهِ بِطَعَامٍ طَيِّبٍ كَثِيرٍ ، وَقُلْتُ : قَدْ عَلِمْتُ أَنَّهُ لَمْ يَقْعَ مِنْكَ الْقَارِصُ مَوْقِعًا فَدُونُكَ هَذَا الطَّعَامَ فَكُلْهُ .

فَنَظَرَ فِي وَجْهِهِ وَتَبَسَّمَ وَقَالَ : يَا عَبْدَ اللَّهِ ، إِنَّمَا هِيَ فَوْرَةٌ هَذِهِ النَّارُ قَدْ أَطْفَأْتُهَا ، وَضَرَبَ بِيَدِهِ عَلَى بَطْنِهِ .

١ القارص : اللبن يجذي اللسان . الحازر : الخامض .

فرجعتُ وقد انكسف بالي لما رأيتُ من هيئته . فقال لي
رجلٌ كان الى جانبي : أتعرفه ؟
قلتُ : ما أعرفه .

قال : هذا رجل من بني هاشم من ولد العباس بن عبد
المطلب ، كان يسكن البصرة ، فتأب وخرج منها ففقد
وما يعرف له أثر .

فأعجبني قوله ، ثم لحقتُ به وناشدته الله ، وقلتُ له : هل
لك أن تُعادلي ، فإن معي فضلاً من راحتي وأنا رجلٌ من
بعض أخوالك ؟

فجزاني خيراً ، وقال : لو أردتُ شيئاً من هذا لكان
لي مُعبداً .

ثم أنس إليّ وجعل يحدثني ، وقال : أنا رجلٌ من ولد
العباس كنتُ أسكن البصرة وكنتُ ذا كِبَرٍ شديد
وجبروت وبَذَخ ، وإني أمرتُ خادماً أن تحشو لي فراشاً
ومِخدةً من حرير بورِدٍ نَثير ، ففعلتُ ، فإني لنام إذ أيقظتني
قِمَع ورْدَة أغفلته الخادم ، فقمْتُ إليها فأوجعتها ضرباً . ثم
عدتُ الى مضجعي بعد أن خرج ذلك القِمَع من المِخدة ،
فأتاني آتٍ في منامي في صورة فظيعةٍ فنهرني وزبرني ،

وقال : أَفِيقْ مِنْ غَشْيَتِكَ وَأَبْصِرْ مِنْ حَيْرَتِكَ ، ثُمَّ أَنْشَأَ يَقُولُ :

يَا خَدُّهُ إِنَّكَ إِنْ تَوَسَّدَ لَيِّنًا ،

وُسَّدْتَ ، بَعْدَ الْمَوْتِ ، حُمَّ الْجَنْدَلِ

فَامْهَدْ لِنَفْسِكَ صَالِحًا تَنْجُو بِهِ ،

فَلْتَنْدَ مَنْ غَدًا ، إِذَا لَمْ تَفْعَلْ ١

فَانْتَبَهَتْ فَرَزَعًا وَخَرَجَتْ مِنْ سَاعَتِي هَارِبًا بِدِينِي إِلَى رَبِّي .

وقالوا : علامةُ التوبةِ الخروجُ من الجهل ، والندمُ على الذنب ،
والتجافي عن الشهوة ، وتركُ الكذب ، والانتهاؤُ عن خُلُقِ
السُّوءِ .

وقالوا : التائب من الذنب كمن لا ذنب له ، وأولُ التوبةِ الندم .

ومن قولنا في هذا المعنى :

يَا وَيْلَنَا مِنْ مَوْقِفٍ ، مَا بِهِ أَخَوْفُ مِنْ أَنْ يَعْدِلَ الْحَاكِمُ

أَبَارِزَ اللَّهِ بَعْضِيَانِهِ ، وَلَيْسَ لِي مِنْ دُونِهِ رَاحِمٌ

يَا رَبَّ غُفْرَانِكَ عَنْ مُذْنِبٍ ، أَشْرَفَ إِلَّا أَنَّهُ نَادِمٌ ٢

١ لم يجزم تنجو في جواب الأمر ، وهذا جائز .

٢ الغفران هنا في معنى الصفح ولذلك عداه بعن عوضاً عن اللام .

وقال بعض أهل التفسير في قول الله ، تبارك وتعالى « يا أيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحاً » : إِنَّ التَّوْبَةَ النَّصُوحَ أَنْ يَتُوبَ الْعَبْدُ عَنِ الذَّنْبِ وَلَا يَنْتَوِي أَنْ يَعُودَ إِلَيْهِ .

وقال ابنُ عَبَّاسٍ في قول الله ، عزَّ وجلَّ « إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ » : إِنَّ الرَّجُلَ لَا يَرْكَبُ ذَنْباً وَلَا يَأْتِي فَاخِشَةً إِلَّا وَهُوَ جَاهِلٌ .

وقوله « ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ » قال : كُلُّ مَا كَانَ دُونَ الْمُعَايِنَةِ فَهُوَ قَرِيبٌ ، وَالْمُعَايِنَةُ أَنْ يُؤْخَذَ بِكَظْمِ الْإِنْسَانِ ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ : « إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ . » قال أهلُ التفسير : هُوَ إِذَا أَخَذَ بِكَظْمِهِ .

وقال ابنُ سُبْرُومَةَ : إِنِّي لِأَعْجَبُ مِمَّنْ يَحْتَسِمِي مَخَافَةَ الضَّرَرِ وَلَا يَدْعُ الذُّنُوبَ مَخَافَةَ النَّارِ .

المبادرة بالعمل الصالح

قال الله، عزّ وجلّ: « وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ . »

وقال تعالى: « وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ . »

وقال الحسن: جادروا بالعمل الصالح قبل حلول الأجل، فإنّ لكم ما أمضيت لا ما أبقيتم .

وقالوا: ثلاثة لا أناة فيهن: المبادرة بالعمل الصالح، ودفن الميت، وإنكاح الكفء .

وقال النبي، صلى الله عليه وسلّم: ابن آدم، اغتم خمساً قبل خمّس: شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وفراغك قبل شغلّك، وحياتك قبل موتك، وغناك قبل فقرك .

وقال الحسن: ابن آدم، ضمّ قبل أن لا تقدر على يوم تصوّمه، كأنك إذا ظميت لم تكن رويت، وكأنك إذا رويت لم تكن ظميت .

وكان يزيد الرقاشي يقول: يا يزيد، من يصوم عنك أو يصلّي لك، أو يتصرّى لك ربّك إذا ميت؟

وكان خالد بن معدان يقول :

إذا أنت لم تزرع ، وأبصرت حاصداً ،
ندمت على التفريط في زمن البذر



وقال ابن المبارك : ركبْتُ مع محمد بن النضر في سفينة ،
فقلتُ : بأي شيء أَسْتَخْرِجُ منه الكلامَ ؟ فقلتُ له : ما تقول
في الصَّومِ في السفر ؟

فقال : إنما هي المبادرة يا بن أخي .
فجاءني والله بفتيا غير فتيا إبراهيم والشَّعبي .



ومن قولنا في هذا المعنى :

بادِرْ إلى التَّوْبَةِ الخَلْصَاءِ مُجْتَهِداً ،
والموتُ ، وَيُحْك ، لم يَمْدُدْ إِلَيْكَ يَدَا

وارْقُبْ ، من الله ، وَعَدّاً لَيْسَ يُخْلِفُهُ ؛
لا بُدَّ لَهِ مِنْ إِنْجَازِ مَا وَعَدَا



وقال عليُّ بن أبي طالب ، رضي الله عنه ، لأصحابه : فيمَ أنتم ؟
قالوا : نَرْجُو وَنَخَافُ .

قال : مَنْ رَجَا شَيْئاً طَلَبَهُ ، وَمَنْ خَافَ شَيْئاً هَرَبَ مِنْهُ .

وقال الشاعر ١ :

تَرْجُو النِّجَاةَ وَلَمْ تَسْلُكْ مَسَالِكَهَا ؛
إِنَّ السَّفِينَةَ لَا تَجْرِي عَلَى الْيَبَسِ .

وقال آخر :

اعْمَلْ ، وَأَنْتَ مِنَ الدُّنْيَا عَلَى حَذَرٍ ؛
وَاعْلَمْ بِأَنَّكَ ، بَعْدَ الْمَوْتِ ، مَبْعُوثٌ
وَاعْلَمْ بِأَنَّكَ مَا قَدَّمْتَ مِنْ عَمَلٍ
يُحْصَى عَلَيْكَ ، وَمَا خَلَّفْتَ مَوْرُوثٌ

وقدَّمَتِ عائشةُ ، رضي الله عنها ، إلى النبيِّ ، صلَّى الله عليه
وسلَّم ، صَحْفَةً فِيهَا خُبْرُ شَعِيرٍ وَقِطْعَةٌ مِنْ كَرِشٍ ، وَقَالَتْ :
يَا رَسُولَ اللَّهِ ، ذَبَحْنَا الْيَوْمَ شَاةً فَمَا أَمْسَكْنَا مِنْهَا غَيْرَ هَذَا ؛
فَقَالَ : بَلْ كُلَّهَا أَمْسَكْتُمْ غَيْرَ هَذَا .

العجز عن العمل

قال رجلٌ لمُؤرِّق العِجْلِي : أَشْكُو إِلَيْكَ نَفْسِي ، إِنِّهَا لَا تُرِيدُ الصَّلَاةَ وَلَا تَسْتَطِيعُ الصَّبْرَ عَلَى الصِّيَامِ .

قال : بئسَ الشَّاءُ أَثْنَيْتَ بِهِ عَلَى نَفْسِكَ ، فَإِذَا ضَعُفْتَ عَنِ الْخَيْرِ فَاضْعُفْ عَنِ الشَّرِّ ، فَإِنَّ الشَّاعِرَ قَالَ :

أَحْزَنَ عَلَى أَنْكَ لَا تَحْزَنُ ؛ وَلَا تُسِيءُ إِنْ كُنْتَ لَا تُحْسِنُ
وَاضْعُفْ عَنِ الشَّرِّ ، كَمَا تَدْعِي ضَعْفًا عَنِ الْخَيْرِ ، وَقَدْ يُمَكِّنُ

وقال بكر بن عبد الله : اجتهدوا في العمل ، فَإِنْ قَصَرَ بَكُمْ ضَعْفٌ فَأَمْسِكُوا عَنِ الْمَعَاصِي .

وقال الحسن ، رحمه الله : مَنْ كَانَ قَوِيًّا فَلْيَعْتَمِدْ عَلَى قُوَّتِهِ فِي طَاعَةِ اللَّهِ ، وَمَنْ كَانَ ضَعِيفًا فَلْيَكُفَّ عَنِ مَعَاصِي اللَّهِ .

وقال علي بن أبي طالب ، عليه السلام : لَا تَكُنْ كَمَنْ يَعْجِزُ عَنْ شُكْرِ مَا أُوتِيَ ، وَيَبْتَغِي الزِّيَادَةَ فِيمَا بَقِيَ ، وَيَنْتَهِي النَّاسَ وَلَا يَنْتَهِي .

وكان الحسنُ إذا وَعَظَ يقول : يا لها موعظةً لو صادفت من
القلوب حياةً ، أَسْمَعَ حَسِيصاً ولا أرى أنيساً ، ما لهم تفاقدوا
عقولها ، فَرَّاش نار وذباب طَمَعَ .

وكان ابن السَّمَّاك إذا فَرَّغَ من موعظته يقول : أَلَسِنَّةٌ
تَصِفُ ، وقلوب تعرف ، وأعمال تُخَالِفُ .

وقال : الحسنُ نورٌ في القلب وقُوَّةٌ في العَمَلِ ، والسيِّئةُ
ظلمة في القلب وضعف في العمل .

وقال بعضُ الحُكَمَاءِ : يا أيُّها المشيخة الذين لم يَتْرَكُوا
الذنوب حتى تَرَكْتَهُمُ الذُّنُوبُ ، ثم ظَنُّوا أَن تَرَكُهَا لهم توبة ،
وليتهم إذ ذهبَ عنهم لم يَتِمَّتُوا عودَها إليهم .

وكان مالكُ بن دِينَار يقول : ما أَشدَّ فِطَامَ الكَبِيرِ ! ويُنشد :

وتَرَوْضَ عِرْسَكَ ، بعدما هَرِمْتَ ،

ومن العَناءِ رِياضَةُ الهَرَمِ .

ومن حديث محمد بن وضَّاح قال : إذا بَلَغَ الرَّجُلُ أَرْبَعِينَ
سنة ولم يَتُبْ مَسَحَ إبليسُ بيده على وَجْهِه وقال : بأبي وَجْهٌ
لا أَفْلَحَ أبداً .

قال الشاعر :

فإذا رأى إبليسُ غُرَّةَ وَجْهِهِ
حيًّا، وقال : فديتُ من لا يُفْلِحُ

•

وقال رجلٌ للحسن : أبا سعيد، أردتُ أن أصِلِّي فلم أستطع ؛
قال : قَيِّدَتْكَ ذُنُوبُكَ .

•

قولهم في الموت

قال النبيّ، صلّى الله عليه وسلّم، لعمر بن الخطّاب، رضوان الله عليه : ما عندك من ذكر الموت أبا حفص ؟
قال : أمسيّ فما أرى أنّي أصبح ، وأصبح فما أرى أنّي أمسيّ .
قال : الأمر أوشكُ من ذلك أبا حفص ، أما إنه يخرج عنّي نفسِي فما أرى أنه يعود إليّ .

وقال عبد الله بن شدّاد : أرى داعي الموت لا يُقلع ،
وأرى من مضى لا يرجع ، ومن بقي فإليه ينزع .
وقال الحسن : ابن آدم ، إنما أنت عدّد ، فإذا مضى يومك
فقد مضى بعضك .

وقال أبو العتاهية :

الناس في غفلاتهم ؛ ورعى المنيّة تطحن

وقال عمر بن عبد العزيز : من أكثر من ذكر الموت اكتفى
بالبسير ، ومن علم أنّ الكلام عملٌ قلّ كلامه إلا فيما ينفع .

وكان أبو الدرداء إذا رأى جنازة ، قال : اغدي فإننا رائحون ،
أو روحي فإننا غادون .

وقال رجل للحسن : مات فلان فجأة .

فقال : لو لم يمُتْ فجأةً لَمَرَضَ فجأةً ثم مات .

وقال يعقوب ، صلوات الله عليه ، للبشير الذي أتاه بقميص
يوسف : ما أدري ما أثيبك به ، ولكن هَوِّنْ الله عليك
سكرات الموت .

وقال أبو عمرو بن العلاء : لقد جلستُ الى جَرِير وهو يُملي
علي كاتبه :

وَدَّعْ أُمَامَةَ حَانَ مِنْكَ رَحِيلُ

ثم طلعت جنازةً فأمسك وقال : شَيَّبَتْنِي هَذِهِ الْجَنَائِزُ .

قلت : فَلِمَ تَسُبُّ النَّاسَ ؟

قال : يَبْدَأُونَنِي ثُمَّ لَا أَعْفُو ، وَأَعْتَدِي وَلَا أَبْتَدِي ؛ ثُمَّ أَنْشَدِي قَوْلَ :

تُرَوِّعُنَا الْجَنَائِزُ مُقْبِلَاتٍ ، فَتَلْهُو حِينَ تَذْهَبُ مُدْبِرَاتِ

كَرَّوْعَةٍ هَجْمَةٍ لِمُغَارِ سَبْعٍ ، فَلَمَّا غَابَ عَادَتْ رَاتِعَاتِ ١

١ الهجمة من الابل : ما بين الأربعين أو السبعين الى المئة .

وقالوا : مَنْ جعل الموتَ بينَ عَيْنَيْهِ لها عما في يَدَيْهِ .
وقالوا : اتخذ نوحٌ بيتاً من خُصٍّ ؛ فقليل له : لو بُنيتَ ما هو
أحسنُ من هذا ؟ قال : هذا كثيرٌ لمن يموت .



وأحكم بيتٌ قالتهُ العربُ في وصف الموت بيتُ أُمَيَّةَ بن
أبي الصَّلْتِ ، حيث يقول :
يوشِكُ من فَرٍّ من مَنِيَّتِهِ ، في بعضِ غِرَّاتِهِ يُوافِقُهَا
من لم يَمُتْ عِبْطَةً يَمُتْ هَرَمًا ، كالموتِ كَأْسٌ ، والمرءُ ذائقُهَا



وقال أَصْبَغُ بن الفرَجِ : كان بنَجْرانَ عابِداً يَصِيحُ في كلِّ
يومٍ صَيِّحَتَيْنِ بهذه الأبيات :

قَطَعَ البقاءَ مَطالِعُ الشَّمْسِ ، وغَدُوُّها من حيث لا تُنْسِي
وطلوعُها حمراءُ قانيةٌ ؛ وغروبُها صفراءُ كالوَرَسِ
اليومُ يُخْبِرُ ما يجيءُ به ، ومضى بفَضْلِ قَضائِهِ أَمْسِ



١ عِبْطَةٌ : من دونِ علة .

وقال آخر :

زَيَّنْتَ بَيْتَكَ جَاهِلًا وَعَمَرْتَهُ ، وَلَعَلَّ غَيْرَكَ صَاحِبُ الْبَيْتِ
مَنْ كَانَتْ الْأَيَّامُ سَائِرَةً بِهِ ، فَكَأَنَّهُ قَدْ حُلَّ بِالْمَوْتِ
وَالْمَرْءُ مُرْتَهَنٌ بِسُوفٍ وَلَيْتَنِي ، وَهَلَكَهُ فِي السُّوفِ وَاللَّيْتِ
لِلَّهِ دَرُّ فَتْسَى تَدَبَّرَ أَمْرَهُ ، فَغَدَا وَرَاحَ مُبَادِرَ الْفَوْتِ

وقال صريع الغواني :

كَمْ رَأَيْنَا مِنْ أَتَاسٍ هَلَكَوْا ، قَدْ بَكَوْا أَحْبَابَهُمْ ثُمَّ بُكُّوْا
تَرَكَوْا الدُّنْيَا لِمَنْ بَعْدَهُمْ ، وَدُّهُمْ لَوْ قَدَّمُوا مَا تَرَكَوْا
كَمْ رَأَيْنَا مِنْ مُلُوكٍ سُوقَةٍ ، وَرَأَيْنَا سُوقَةً قَدْ مَلَكَوْا

وقال الصَّلْتَانُ الْعَبْدِيُّ :

أَشَابَ الصَّغِيرَ ، وَأَفْنَى الْكَبِيرَ ، رَ ، كَرُّ الْغَدَاةِ ، وَمَرُّ الْعَشِيِّ
إِذَا لَيْلَةٌ أَهْرَمَتْ يَوْمَهَا ، أَتَى ، بَعْدَ ذَلِكَ ، يَوْمٌ فَتِي
نَرُوحُ وَنَغْدُو لِحَاجَاتِنَا ، وَحَاجَةٌ مَنِ عَاشَ لَا تَنْقُضِي
تَمُوتُ مَعَ الْمَرْءِ حَاجَاتُهُ ، وَتَبْقَى لَهُ حَاجَةٌ مَا بَقِيَ

وكان سُفيان بن عُيينة يَسْتَحْسِن قولَ عَدِيٍّ بن زَيْدٍ :
 أينَ أهلُ الديار من قومِ نُوحٍ ، ثم عادٌ ، من بعدها ، وثمودُ
 بينما همُ على الأسيرةِ والأنثى اط ، أفضت ، إلى التراب ، الحدود
 وصحيحُ أُمسَى يعودُ مريضاً ، وهو أدنى للموت ممَّن يعودُ
 ثم لم ينقضِ الحديثُ ، ولكن ، بعد ذا كلُّه وذاك ، الوعيد

وقال أبو العتاهية في وصف الموت :

كانَّ الأرضُ قد طُويتَ عليَّ ، وقد أُخْرِجْتُ مما في يَدَيَّ
 كأنَّ قد صرتُ منفرداً وحيداً ومُرْتَهَناً هناك بما لَدَيَّ
 كأنَّ الباكياتِ عليَّ يوماً ، ولا يُغْنِي البُكاءُ عليَّ شيئاً
 ذكرتُ مَنِيَّتِي ، فَنَعِيتُ نَفْسِي ؛ ألا أَسْعِدُ أَخِيكَ يا أَخِيَّ

وقال :

سَتَخْلُقُ جَدَّةٌ وتَجُودُ حالٌ ؛ وعندَ الحقِّ تُخْتَبَرُ الرِّجالُ
 وللدُّنْيَا ودائعُ في قلوبٍ ، بها جَرَّتِ القِطِيعَةُ والوصالُ
 تَخَوَّفُ ما لَعَلَّكَ لا تَراه ، وترجو ما لَعَلَّكَ لا تَنالُ
 وقد طلعَ الهِلَالُ لَهْدَمِ عُمري ، وأفرَحُ كُلِّما طلعَ الهِلالُ

وله أيضاً :

من يعيش يكبرُ ومن يكبرِمت ؛ والمنايا لا تُبالي من أتت
نحن في دار بلاءٍ وأذى ، وشقاءٍ وعناءٍ وعنت
مَنزلٌ ما يَثْبُتُ المرءُ به سالمًا إلا قليلاً إن ثَبَت
أيها المَغْرور ما هذا الصِّبا ؟ لو نهيتَ النفسَ عنه لانتَهت
رَحِمَ الله امرأاً أَنْصَفَ مِنْ نفسه، إذ قال خيراً ، أو سكت

ومن قولنا في ذكر الموت :

من لي إذا جُدتُ بين الأهل والولدِ ،
وكان منِّي نحو الموت قَيْدُ يَدِ
والدَّمْعُ يَهْمِلُ والأنفاسُ صاعِدةٌ ،
فالدَّمْعُ في صَبَبٍ والنَّفْسُ في صُعْدِ
ذاك القضاء الذي لا شيءَ يَصْرِفُه ،
حتى يُفَرِّقَ بين الرُّوح والجَسَدِ

ومن قولنا فيه :

أَتَلَهُو بين باطيةٍ وزيرٍ ، وأنت من الهلاك على سَفِيرِ؟^٢

١ جدت : أي بروحي .

٢ الباطية : من أواني الخمر . الزير : الدن .

فَيَا مَنْ غَرَّهُ أَمَلٌ طَوِيلٌ ، يُؤَدِّيهِ إِلَى أَجَلٍ قَصِيرٍ
 أَتَفْرَحُ ، وَالْمَنِيَّةُ كُلَّ يَوْمٍ تُرِيكَ مَكَانَ قَبْرِكَ فِي الْقُبُورِ ؟
 هِيَ الدُّنْيَا ، فَإِنْ سَرَّتْكَ يَوْمًا ، فَإِنَّ الْحُزْنَ عَاقِبَةُ السُّرُورِ
 سَتُسَلِّبُ كُلَّ مَا جَمَعْتَ مِنْهَا ، كَعَارِيَةٍ تُرَدُّ إِلَى الْمُعِيرِ
 وَتَعْتَاضُ الْيَقِينَ مِنَ التَّظَنِّي ، وَدَارَ الْحَقِّ مِنْ دَارِ الْغُرُورِ

ولأبي العتاهية :

وَلَيْسَ مِنْ مَنَزَلٍ يَأْوِيهِ ذُو نَفْسٍ ،
 إِلَّا وَلِلْمَوْتِ سَيْفٌ فِيهِ مَسْلُولٌ

وله أيضاً :

مَا أَقْرَبَ الْمَوْتَ مِنَّا ! تَجَاوَزَ اللَّهُ عَنَّا
 كَانَتْهُ قَدْ سَقَانَا بِكَأْسِهِ ، حَيْثُ كُنَّا

وله أيضاً :

أَوْ مَلُّ أَنْ أُخْلَدَ ، وَالْمَنَايَا يَشْنَعُ عَلَيَّ مِنْ كُلِّ التَّوَاحِي
 وَمَا أَدْرِي ، إِذَا أَمْسَيْتُ حَيًّا ، لَعَلِّي لَا أَعِيشُ إِلَى الصَّبَاحِ

وقال الغزّال :

أَصْبَحْتُ ، والله ، مَجْهُوداً عَلَى أَمَلٍ ،
مِنَ الْحَيَاةِ ، قَصِيرٍ ، غَيْرِ مُتَمَدٍّ
وَمَا أَفَارِقُ يَوْمًا مَنْ أَفَارِقُهُ ،
إِلَّا حَسِبْتُ فِرَاقِي آخَرَ الْعَهْدِ
انْظُرْ إِلَيَّ ، إِذَا أُدْرِجْتُ فِي كَفَنِي ،
وَانْظُرْ إِلَيَّ ، إِذَا أُدْرِجْتُ فِي اللَّحْدِ
وَاقْعُدْ قَلِيلًا ، وَعَيْنُ مَنْ يُقِيمُ مَعِيَ
مَنْ يُشَيِّعُ نَعْشِي مِنْ ذَوِي وَدِّي
هَيْهَاتَ ! كُلُّهُمْ فِي شَأْنِهِ لَعِبٌ ،
يَرْمِي التُّرَابَ وَيَحْشُوهُ عَلَى خَدِّي

وقال أبو العتاهية :

نَعَى لَكَ ، ظِلَّ الشَّبَابِ ، الْمَشِيبُ ،
وَنَادَتْكَ بِاسْمِ سَوَاكِ الْخُطُوبُ
فَكُنْ مُسْتَعِيدًّا لَرَيْبِ الْمُنُونِ ،
فَإِنَّ الَّذِي هُوَ آتٍ قَرِيبٌ
وَقَبْلَكَ دَاوَى الطَّيِّبِ الْمَرِيضِ ،
فَعَاشِ الْمَرِيضِ ، وَمَاتِ الطَّيِّبِ

يَخَافُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ يَتُوبُ ،
فَكَيْفَ تَرَى حَالَ مَنْ لَا يَتُوبُ ؟

وله أيضاً :

أُخِيَّ ادَّخِرْ ، مَهْمَا اسْتَطَعْتُ : لِيَوْمِ بُؤْسِكَ وَافْتِقَارِكَ
فَلْتَنْزِلَنَّ بِنَزْلِ ، تَحْتَاجُ فِيهِ إِلَى ادِّخَارِكَ

وقال أبو الأسود الدؤلي :

أَيُّهَا الْآمِلُ مَا لَيْسَ لَهُ ! رُبَّمَا غَرَّ سَفِيهًا أَمَلُهُ
رُبَّ مَنْ بَاتَ يُمَنِّي نَفْسَهُ ، حَالَ مَنْ دُونَ مُنَاهِ أَجَلُهُ
وَالْفَقْرُ الْمُحْتَالُ فِيمَا نَابَهُ ، رُبَّمَا ضَاقَتْ عَلَيْهِ حِيلُهُ
قُلْ لِمَنْ مَثَلٌ فِي أَشْعَارِهِ : يَهْلِكُ الْمَرْءُ ، وَيَبْقَى مَثَلُهُ
نَافِسُ الْمُحْسِنِ فِي إِحْسَانِهِ ، فَسَيَكْفِيكَ سَنَاءُ عَمَلِهِ

وقال عديّ بن زيد العبادي :

أَيْنَ كِسْرَى ، كِسْرَى الْمُلُوكِ أَنْوَشِرَوَانُ ،
أَمْ أَيْنَ قَبْلَهُ سَابُورُ ؟
وَبَنُو الْأَصْفَرِ الْكِرَامُ ، مُلُوكِ الرُّومِ ،
لَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ مَذْكُورُ

وَأَخُو الْحَضَرِ ، إِذْ بَنَاهُ ، وَإِذْ دَجَلَةُ
تُجْبَى إِلَيْهِ وَالْخَابُورُ

شَادَهُ مَرَّةً وَجَلَّلَهُ كَلْبَسًا ،
فَلِلطَّيْرِ فِي ذَرَاهِ وَكُورُ

لَمْ يَهَبْهُ رَيْبُ الْمَنُونِ فَبَانَ الْمُلْكُ
عَنْهُ ، فَبَابُهُ مَهْجُورُ

وَتَبَيَّنَ رَبُّ الْخَوَرْنَقِ إِذْ أَشْرَفَ
يَوْمًا وَلِلْهُدَى تَفْكِيرُ

سَرَّهُ مَالُهُ ، وَكَثْرَةُ مَا يَمْلِكُ ،
وَالْبَحْرُ مُعْرَضًا وَالسَّدِيرُ

فَارْعَوَى قَلْبُهُ ، وَقَالَ : فَمَا غِبْطَةُ
حَيٍّ إِلَى الْمَمَاتِ يَصِيرُ ؟

١ الحضر : حصن عظيم كان على شاطئ الفرات ، قالوا بناه ساطرون من أجداد
النعمان بن المنذر . الخابور : نهر كبير بين رأس عين والفرات من أرض
الجزيرة .

٢ الخورنق : قصر كان بظهر الحيرة ، بناه النعمان بن امرئ القيس ، وكان من
أشد الملوك بأساً ثم زهد وفر هارباً إلى الغاوات والجبال .

٣ السدير : قصر بالحيرة أيضاً من منازل آل المنذر .

ثم بعد الفلاح والمُلك والنَّعمة
وارتَهُمُ ، هَناكَ ، القُبُور
ثم صاروا ، كأنَّهُم وَرَقٌ جَفَّ ،
فألَوَتْ بِهِ الصَّبَا والدَّبُور

وقال حُرَيْثُ بن جَبَلَةَ العُدْرِي :

يا قلبُ إنَّكَ في الأحياء مَغْرورُ ،
فاذْكُرْ ، وهل يَنْفَعُكَ اليومُ تذكيرُ
حتى متى أنتَ فيها مُدْنَفٌ وَلِهْ ،
لا يَسْتَفْزِنُكَ مِنْهَا البدَنُ الحُورُ^١
قد بُحِتَ بِالْجَهْلِ لا تُخْفِيهِ عن أَحَدٍ ،
حتى جَرَتْ بِكَ أَطْلَاقاً مُحَاضِرُ^٢
تُرِيدُ أمراً ، فما تَدْرِي أَعاجِلُهُ
خيرٌ لِنَفْسِكَ ، أم ما فيه تَأْخِرُ
فاستَقْدِرِ اللهَ خيراً وارْضَيْنِ بِهِ ،
فبينما العُسْرُ إذ دارَتْ مِياسِرُ^٣

١ البدن ، واحدها بدنية : السمينات .

٢ الأطلاق ، واحدها طلق : الشوط . المحاضير من الخيل : الشديدة العدو .

٣ استقدر الله : اطلب منه أن يقدر لك .

وبينما المرءُ في الأحياء مُغْتَبِطٌ،
إذ صار في الرّمس تَعْفُوهُ الأعاصير

حتى كأن لم يَكُنْ إِلَّا تَوْهَمُهُ،
والدَّهر في كلِّ حالٍه دَهَارِيْرُ¹

يَبْكِي الغريبُ عليه ، ليس يَعْرِفُهُ،
وذو قرابته في الحيِّ مسرور

فذاك آخرُ عَهْدٍ من أخيك إذا
ما ضَمَنْتَ، شَلَوَهُ اللّٰحْدُ، المحافير²

١ دهر دهاير : شديد .

٢ المحافير ، واحدها محفار ، ومحفّر : آلة الحفر .

قولهم في الطاعون

قال أبو عبيدة بن الجراح لعمر بن الخطّاب، رضوانُ الله عليه،
لَمَّا بلغه أَنَّ الطاعونَ وَقَعَ في الشام فانصرف بالناس : أفراراً
من قَدَرِ الله يا أمير المؤمنين ؟

قال عمر : لو غيرك قالها يا أبا عبيدة ، نعم نَفِرُ من قَدَرِ
الله الى قَدَرِ الله ، أَرَأَيْتَ لو أَنَّ لك إِبْلاً هَبَطْتَ بها وادياً
له جِهتان إحداهما خَصِيبة والأخرى جَدِيبة ، أليس لو رَعَيْتَ
الْخَصِيبة رَعَيْتَها بِقَدَرِ الله، ولو رَعَيْتَ الْجَدِيبة رَعَيْتَها بِقَدَرِ الله ؟
وكان عبدُ الرحمن بن عَوْفٍ غائباً فأقبل ، فقال : عِنْدِي في هذا
عِلْمٌ سَمِعْتُهُ من رسولِ الله ، صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم ، قال : إِذَا
سَمِعْتُمْ به في أرض فلا تَقْدَمُوا عليها ، وَإِذَا وَقَعَ في أرض ، وَأَنْتُمْ
بِهَا ، فلا تَخْرُجُوا فِرَاراً مِنْهُ .

فَحَمِدَ اللهُ عُمَرَ ثُمَّ انصرف بالناس .

وقيل للوليد بن عبد الملك حين فرَّ من الطاعون : يا أمير
المؤمنين ، إِنَّ الله تعالى يقول : « قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمْ الْفِرَارُ
إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذَا لَا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلاً . »

قال : ذلك القليلَ نَطْلُبُ .

العُتْبِيُّ قال : وَقَعَ الطَّاعُونُ بِالْكُوفَةِ ، فخرجَ صَدِيقٌ لِشُرَيْحٍ إِلَى النَّجَفِ ، فَكُتِبَ إِلَيْهِ شُرَيْحٌ : أَمَا بَعْدُ ، فَإِنَّ الْمَوْضِعَ الَّذِي هَرَبْتَ مِنْهُ لَمْ يَسْقُ إِلَى أَجْلِكَ تَمَامَهُ ، وَلَمْ يَسْلُبْهُ أَيَّامُهُ ؛ وَإِنَّ الْمَوْضِعَ الَّذِي صِرْتَ إِلَيْهِ لِبَسِيعَيْنِ مَنْ لَا يُعْجِزُهُ طَلَبٌ وَلَا يَفُوتُهُ هَرَبٌ ؛ وَأَنَا وَإِيَّاكَ عَلَى بَسَاطَةِ مَلِكٍ ، وَإِنَّ النَّجَفَ مِنْ ذِي قُدْرَةٍ لِقَرِيبٍ .

لَمَّا وَقَعَ الطَّاعُونُ الْجَارِفُ أَطَافَ النَّاسُ بِالْحُسَيْنِ ، فَقَالَ : مَا أَحْسَنَ مَا صَنَعَ بِكُمْ رَبُّكُمْ ، أَفَلَمَّا لَعَنَ مُذْنِبٌ وَأَنْفَقَ ثُمْسُكَ .

وخرجَ أَعْرَابِيٌّ هَارِباً مِنَ الطَّاعُونِ فَلَدَغَتْهُ أَفْعَى فِي طَرِيقِهِ فَمَاتَ ، فَقَالَ أَخُوهُ يَرِثِيهِ^١ :

طَافَ يَبْغِي نَجْوَةً مِنْ هَلَاكِ ، فَهَلَكَ
لَيْتَ شِعْرِي ، ضَلَّةً ، أَيُّ شَيْءٍ قَتَلَكَ
أَجْحَافٌ سَائِلٌ مِنْ جِبَالٍ حَمَلَكَ^٢

١ تروى هذه الايات لأُم السليكَ بن السلكة .

٢ الجحاف : السيل .

والمنايا راصدات ، للفقى حيثُ سَلَكَ
كلُّ شيءٍ قاتِلٌ ، حينَ تَلْقَى أَجَلَكَ

حُكِيَ أَنَّ ماءَ المطرِ اتصلَ في وقتٍ من الأوقات ، فَقَطَعَ
الحسنَ بنَ وهبٍ عن لقاءِ محمد بن عبد الملك الزيات ، فكتبَ
إليه الحسنُ :

يُوضِحُ العذرَ ، في تراخي اللِّقاءِ ، ما تَوَالى مِن هذه الأنواءِ
فَسَلامُ الإِلَهِ أَهْدِيهِ مِنِّي ، كُلَّ يَوْمٍ ، لِسَيِّدِ الزَّوْراءِ
لستُ أدري ما ذا أَدْمُ وَأَشْكُو من سماءٍ تَعُوقُنِي عن سماءٍ ؟
غَيْرَ أَنِّي أَدْعُو لَهَا تِيكَ بِالْثُّكُلِ ، وَأَدْعُو لِهَذِهِ بِالْبَقَاءِ

اتصل بأحمد بن أبي دُواد أن محمد بن عبد الملك هجَّاه بقصيدة
فيها تسعون بيتاً ، فقال :

أَحْسَنُ مِنْ تَسْعِينَ بَيْتاً ، سَدَّيْ ، جَمْعُكَ مَعْنَاهُنَّ فِي بَيْتِ
ما أَحْوجَ النَّاسَ إِلَى مَطَرَةٍ ، تُزِيلُ عَنْهُمْ وَضَرَ الزَّيْتِ
فبلغَ قولُه محمداً فقال :

يَأْتِيهَا الْمَافُونُ رَأْيَا ، لَقَدْ عَرَّضْتُ لِي نَفْسَكَ لِلْمَوْتِ

قَيَّرْتُمْ الْمُلْكَ ، فلم نُنْقِهِ ، حتى قَلَعْنَا الْقَارَ بِالزَّيْتِ
الزَّيْتُ لَا يُزْرِي بِأَحْسَابِنَا ؛ أَحْسَابُنَا مَعْرُوفَةُ الْبَيْتِ

وقيل لابن أبي دواد: لم لا تسأل حوائجك الخليفةَ بحضرة
محمد بن عبد الملك ؟ فقال : لا أحب أن أعلمه شأني .

وقد حدث أبو القاسم جَعْفَرُ أَنْ مُحَمَّدًا الْحَسَنِيَّ قَالَ : أَخْبَرَنَا
محمد بن زكريا الغلابيُّ ، قال : حدثنا محمد بن نَجِيعِ النَّشُوبَخْتِي ،
قال : حدثنا يحيى أن سليمان قال : حدثني أبي ، وكان ممن لَحِقِ
الصَّحَابَةُ ، قال : دخلتُ الْكَوْفَةَ فإذا أنا بِرَجُلٍ يُحَدِّثُ النَّاسَ ،
فقلت : من هذا ؟ قالوا : بَكْرُ بْنُ الطَّرِمَّاحِ ، فسمعتُهُ يقول :
سمعتُ زَيْدَ بْنَ حُسَيْنٍ يَقُولُ : لَمَّا قُتِلَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيُّ بْنُ
أَبِي طَالِبٍ ، عَلَيْهِ السَّلَامُ ، أَتَى بَنَعِيَةَ إِلَى الْمَدِينَةِ كُلْثُومُ بْنُ
عَمْرٍو ، فَكَانَتْ تِلْكَ السَّاعَةُ الَّتِي أَتَى فِيهَا بَنَعِيَةَ أَشْبَهُهُ بِالسَّاعَةِ
الَّتِي قُبِضَ فِيهَا رَسُولُ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، مِنْ بَاكِ
وَبَاكِئَةٍ ، وَصَارِخٍ وَصَارِخَةٍ ، حَتَّى إِذَا هَدَّاتِ عِبْرَةَ الْبُكَاءِ
عَنِ النَّاسِ ، قَالَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : تَعَالَوْا
حَتَّى نَذْهَبَ إِلَى عَائِشَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ،
فَمَنْظُرٌ حُزْنُهَا عَلَى ابْنِ عَمِّ رَسُولِ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .
فَقَامَ النَّاسُ جَمِيعًا حَتَّى أَتَوْا مَنْزِلَ عَائِشَةَ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ،

فاستأذنوا عليها فوجدوا الجبر قد سبق إليها ، وإذا هي في
غَمْرَةِ الأحزان وعَبْرَةِ الأشجان ، ما تَفْتُرُ عن البُكاء والنَّحيب
منذُ وقتِ سَمِيعَتِ بَحْثِهِ . فلما نَظَرَ الناسُ الى ذلك منها
انصرفوا .

فلما كان من غدٍ قِيلَ إنها غَدَت الى قبرِ رسولِ الله ، صلَّى
الله عليه وسلم ، فلم يَبْقُ في المَسْجِدِ أحدٌ من المهاجرين إلا
استقبلها يُسَلِّمُ عليها ، وهي لا تُسَلِّمُ ولا تَرُدُّ ولا تُطِيقُ
الكلامَ من غَزارةِ الدَّمْعَةِ ، وغَمْرَةِ العَبْرَةِ ، تتَخَشَّقُ بعَبْرَتِها ،
وتتَعَشَّرُ في أثوابِها ، والناسُ من خَلْفِها ، حتى أَتَتْ الى الحُجْرَةِ ،
فأخذت بعِضَادَةِ البابِ ثم قالت : السلامُ عليك يا نبيَّ الهدى ،
السلامُ عليك يا أبا القاسم ، السلامُ عليك يا رسولَ الله وعلى صاحبَيْكَ .
يا رسولَ الله ، أنا ناعيةٌ إليك أخطى أحبابك ، ذاكرةٌ لك
أَكْرَمَ أَوْدَانِكَ عليك . قُتِلَ والله حبيبُكَ المُجْتَبَى ، وصفيُّكَ
المُرتَضَى . قُتِلَ والله من زَوْجَتِهِ خَيْرِ النِّسَاءِ . قُتِلَ والله من
آمَنَ ووَفَّى ، وإني لنادِبةٌ تَكْلِي ، وعليه باكِيةٌ حَرَّيْ . فلو
كُشِفَ عنكَ الثَّرَى لَقُلْتَ : إِنَّهُ قُتِلَ أَكْرَمُهُمْ عَلَيْكَ وَأَعْظَمُهُمْ
لَدَيْكَ . ولو قُدِّرَ أَنْ نَتَجَنَّبَ العِدَاءَ ما كان ، ما تَعَرَّضْتَ له
منذُ اليوم ، والله يُجْري الأمورَ على السَّدادِ .

قال المبرّد: عزّى أحمدُ بن يوسف الكاتب ولدَ الربيع ،
فقال : عَظُمَ أجركم ، ورحم الله فقيدكم ، وجعل لكم من وراء
مُصيبتكم حالاً تجمعُ شملكم ، وتلُمُ شعثكم ، ولا تُفرِّق
ملأكم .

وقيل لأعرابية مات لها بنون عِدّة : ما فعل بنوك ؟
قالت : أكلهم دهرٌ لا يشبع .

وعزّى رجل الرشيد فقال : يا أمير المؤمنين ، كان لك الأجر
لا بك ، وكان الغزاء لك لا عنك .



ومما روي أن عبد الله بن عباس ، رضي الله عنهما ، نُعيت
إليه ابنته وهو في السفر ، فاسترجع^١ ، ثم قال : عورةٌ سترها
الله ، ومؤونة كفاها الله ، وأجرٌ ساقه الله .

وقال أسامة بن زيد ، رضي الله عنهما : لما عزّى رسول الله ،
صلّى الله عليه وسلّم ، بابنته رُقِيّة ، قال : الحمد لله ، دَفِنَ
البنات من المكرومات . وفي رواية : من المكرومات دفن
البنات .

وقال الغزّال: مائت ابنة لبعض ملوك كِنْدَة ، فوَضَعَ

١ استرجع : قال : انا لله وانا اليه راجعون .

بين يديه بَدْرَةٌ من الذهب وقال : مَنْ أبلغَ في التَّعْزِيَةِ فُهِىَ
له . فدخَلَ عليه أعرابيٌّ ، فقال : أعظمَ اللهُ أَجْرَ المَلِكِ ، كُفِّيتَ
المُؤُونَةُ ، وسُتِرَتِ العَوْرَةُ ، وَنِعِمَّ الصَّهْرُ القَبِيرُ .
فقال له المَلِكُ : أبلغتَ وأوجزتَ ؛ وأعطاهُ البَدْرَةَ .

من أحب الموت ومن كرهه

في بعض الأحاديث: لا يَتَمَنَّى أَحَدُكُمْ الْمَوْتَ ، فَعَسَى أَنْ يَكُونَ مُحْسِنًا فَيَزِدَادَ فِي إِحْسَانِهِ ، أَوْ يَكُونَ مُسِيئًا فَيَنْزِعَ عَنْ إِسَاءَتِهِ .

وقد جاء في الحديث: يقولُ اللهُ، تَبَارَكَ وَتَعَالَى: إِذَا أَحَبَّ عَبْدِي لِقَائِي أَحْبَبْتُ لِقَاءَهُ ، وَإِذَا كَرِهَ لِقَائِي كَرِهْتُ لِقَاءَهُ .
وليس معنى هذا الحديثُ حُبَّ الْمَوْتِ وَكَرَاهِيَّتَهُ ، وَلَكِنْ مَعْنَاهُ: مَنْ أَحَبَّ اللهُ أَحَبَّهُ اللهُ ، وَمَنْ كَرِهَ اللهُ كَرِهَهُ اللهُ .

وقال أبو هريرة: كَرِهَ النَّاسُ ثَلَاثًا وَأَحْبَبْتُهُنَّ: كَرِهُوا الْمَرَضَ وَأَحْبَبْتُهُ ، وَكَرِهُوا الْفَقْرَ وَأَحْبَبْتُهُ ، وَكَرِهُوا الْمَوْتَ وَأَحْبَبْتُهُ .

عبد الأعلى بن حماد قال: دَخَلْنَا عَلَى بِيْشْرِ بْنِ مَنْصُورٍ ، وَهُوَ فِي الْمَوْتِ ، وَإِذَا هُوَ مِنَ الشُّرُورِ فِي أَمْرِ عَظِيمٍ ، فَقُلْنَا لَهُ: مَا هَذَا الشُّرُورُ ؟

قال: سُبْحَانَ اللهِ ! أَخْرُجْ مِنْ بَيْنِ الظَّالِمِينَ وَالْحَاسِدِينَ وَالْمُغْتَابِينَ وَالْبَاغِينَ ، وَأَقْدِمْ عَلَى أَرْحَمِ الرَّاحِمِينَ وَلَا أُسْرَ !

ودخل الوليدُ بن عبد الملك المسجدَ ، فخرج كلُّ من كان فيه إلاَّ شيخاً قد حناه الكبيرُ ، فأرادوا أن يُخرجوه ، فأشار اليهم أن دَعُوا الشيخَ ؛ ثم مضى حتى وقف عليه ، فقال له : يا شيخُ ، تُحِبُّ الموتَ ؟

قال : لا يا أمير المؤمنين ، ذهبَ الشَّبابُ وشرُّهُ وأتى الكبيرُ وخيرُهُ ، فإذا قمتُ حَمِدْتُ اللهَ ، وإذا قعدتُ ذَكَرْتُه ، فأنا أُحِبُّ أن تدوم لي هاتان الحَلَّتَانِ .

قال عبدُ الله بن عمر : جاء رجلٌ الى رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا رسول الله ، ما لي لا أُحِبُّ الموتَ ؟ قال : هل لك مالٌ ؟

قال : نعم .

قال : فقدّمه بين يديك .

قال : لا أُطِيق ذلك .

فقال النبيُّ ، عليه الصلاة والسلام : إن المرءَ مع ماله ، إن قدّمه أحبُّ أن يلحقَه ، وإنَّ أخَرَه أحبُّ أن يتخلَّفَ معه .



وقال الشاعر في كراهية الموت :

قامت تُشَجِّعُنِي هُنْدُ ، فقلتُ لها :

إنَّ الشَّجَاعَةَ مقرونٌ بها العَطْبُ

لَا ، وَالَّذِي مَنَعَ الْأَبْصَارَ رُؤْيَيْتَهُ ،
مَا يَشْتَهِي الْمَوْتَ عِنْدِي مِنْ لَهُ أَدَبُ

وقالت الحكماء : الموت كرية .

وقالوا : أشدُّ من الموت ما إذا نزلَ بك أحبتَ له الموت ،
وأطيبُ من العيش ما إذا فارقتَه أبغضتَ له العيش .

التَّهَجُّدُ

المُعِيرَةُ بنُ سُعْبَةَ قال : قامَ النَّبِيُّ ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ،
حَتَّى وَرِمَتْ قَدَمَاهُ .

وَقِيلَ لِلْحَسَنِ : مَا بَالُ الْمُتَهَجِّدِينَ أَحْسَنَ النَّاسِ وَجُوهًا ؟

قال : إِنَّهُمْ خَلَوْا بِالرَّحْمَنِ فَأَسْفَرَ نُورُهُمْ مِنْ نُورِهِ .

وَكَانَ بَعْضُهُمْ يَصَلِّي اللَّيْلَ حَتَّى إِذَا نَظَرَ إِلَى الْفَجْرِ قَالَ :
عِنْدَ الصَّبَاحِ يَحْمَدُ الْقَوْمُ الشَّرِي .

وَقَالُوا : الشِّتَاءُ رُبِيعُ الْمُؤْمِنِينَ ، يَطُولُ لَيْلُهُمْ لِلْقِيَامِ ،
وَيَقْصُرُ نَهَارُهُمْ لِلصِّيَامِ .

•
وَقَالَ النَّبِيُّ ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَطْعِمُوا الطَّعَامَ
وَأَفْشُوا السَّلَامَ وَصَلُّوا بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامُ .

وَقَالَ اللهُ ، تَبَارَكَ وَتَعَالَى : « وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ . »
وَهَذَا يُوَافِقُ الْحَدِيثَ الَّذِي رَوَاهُ أَبُو هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ، صَلَّى
اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إِنَّ اللهَ ، تَبَارَكَ وَتَعَالَى ، يَنْزِلُ إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا فِي
الثَّلَاثِ الْأَخِيرِ مِنَ اللَّيْلِ فَيَقُولُ : هَلْ مِنْ سَائِلٍ فَأَعْطِيَهُ ؟ هَلْ

من داعٍ فاستجيبَ له ؟ هل من مُستَغْفِرٍ فأغفرَ له ؟ هل من
مُستَغِيثٍ فأغيثَه ؟

أبو عَوَانة عن المُغيرة قال : قلتُ لابراهيم النخعي : ما
تقولُ في الرَّجل يرى الضَّوءَ بالليل ؟

قال : هو من الشيطان ، لو كان خيراً لأريه أهلَ بَدْر .

البكاء من خشية الله عز وجل

قال النبي ﷺ ، صلى الله عليه وسلم : حَرَّمَ اللهُ عَلَى النَّارِ كُلِّ عَيْنٍ تَبْكِي مِنْ خَشْيَةِ اللهِ ، وَكُلَّ عَيْنٍ غَضَّتْ عَنْ مَحَارِمِ اللهِ .
وكان يزيد الرقاشي قد بكى حتى سقطت أشْفارُ عينيه .
وقيل لعالم بن عبد الله : أَمَا تَخَافُ عَلَى عَيْنَيْكَ مِنَ الْعَمَى مِنْ طَوْلِ الْبُكَاءِ ؟

فقال : شِفَاءَهُمَا أُرِيدُ .

وقيل ليزيد بن مزيد : مَا بَالُ عَيْنِكَ لَا تَجِفُّ ؟
قال : أَيُّ أَخِي ، إِنْ اللهُ أَوْعَدَنِي إِنْ عَصَيْتُهُ أَنْ يَجْبِسَنِي فِي النَّارِ ، وَلَوْ أَوْعَدَنِي أَنْ يَجْبِسَنِي فِي الْحَمَّامِ لَكُنْتُ حَرِيًّا أَنْ لَا تَجِفَّ عَيْنِي .



وقال عمر بن ذرٍّ لأبيه : مَا لَكَ إِذَا تَكَلَّمْتَ أَبْكَيْتَ النَّاسَ ، فَإِذَا تَكَلَّمْتَ غَيْرُكَ لَمْ يُبْكِهِمْ ؟
قال : يَا بُنَيَّ ، لَيْسَتْ النَّائِجَةُ الشَّكْلِي مِثْلَ النَّائِجَةِ الْمُسْتَاجِرَةِ .
وقال الله لنبيٍّ مِنْ أَنْبِيَائِهِ : هَبْ لِي مِنْ قَلْبِكَ الْخُشُوعَ ، وَمِنْ عَيْنَيْكَ الدُّمُوعَ ، ثُمَّ ادْعُنِي أَسْتَجِبْ لَكَ .

ومن قولنا في البكاء من خشية الله تعالى :

مَدَامَعُ قَدْ خَدَدْتُ فِي الْحُدُودِ وَأَعَيْنُ مَكْحُولَةً بِالْهَجُودِ^١
وَمَعَشَرٌ أَوْعَدَهُمْ رَبُّهُمْ ، فَبَادَرُوا خَشْيَةَ ذَاكَ الْوَعِيدِ
فَهُمْ عُكُوفٌ فِي مَحَارِبِهِمْ ، يَبْكُونَ مِنْ خَوْفِ عِقَابِ الْمَجِيدِ
قَدْ كَادَ أَنْ يُعْشَبَ ، مِنْ دَمْعِهِمْ ، مَا قَابَلَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي السُّجُودِ

وقال قيس بن الأصم في هذا المعنى :

صَلَّى الْإِلَهَ عَلَى قَوْمٍ شَهِدْتُهُمْ ،
كَانُوا ، إِذَا ذَكَرُوا ، أَوْ ذُكِّرُوا ، شَهِقُوا
كَانُوا ، إِذَا ذَكَرُوا نَارَ الْجَحِيمِ بَكَوْا ؛
وَإِنْ تَلَا بَعْضُهُمْ تَخْوِيفَهَا صَعِقُوا
مِنْ غَيْرِ هَمَزٍ مِنَ الشَّيْطَانِ يَأْخُذُهُمْ ،
عِنْدَ التَّلَاوَةِ ، إِلَّا الْخَوْفُ وَالشَّفَقُ
صَرَعى مِنَ الْحُزَنِ ، قَدْ سَجَّوْا ثِيَابَهُمْ ،
بَقِيَّةُ الرُّوحِ فِي أَوْدَاجِهِمْ رَمَقُ
حَتَّى تَخَالَهُمْ ، لَوْ كُنْتُ شَاهِدَهُمْ ،
مِنْ شِدَّةِ الْخَوْفِ وَالْإِسْفَاقِ ، قَدْ زَهَقُوا

١ الهجود هنا : السهر .

النهي عن كثرة الضحك

في الحديث المرفوع : كَثْرَةُ الضَّحِكِ تُمِيتِ الْقَلْبَ وَتُذْهِبُ
بِهَاءَ الْمُؤْمِنِ .

وفيه : لو علمتمْ لَبَكَيْتُمْ كَثِيراً وَضَحِكْتُمْ قَلِيلاً .
وفيه : إِنَّ اللَّهَ يَكْرَهُ لَكُمْ الْعَبَثَ فِي الصَّلَاةِ وَالرَّقْعَةِ فِي
الصَّيَامِ وَالضَّحِكِ فِي الْجَنَائِزِ .

وَمَرَّ الْحَسَنُ بِقَوْمٍ يَضْحَكُونَ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ ، فَقَالَ :
يَا قَوْمَ ، إِنَّ اللَّهَ جَعَلَ رَمَضَانَ مِضْمَاراً لِخَلْقِهِ يَتَسَابِقُونَ فِيهِ
إِلَى رَحْمَتِهِ ، فَسَبَقَ أَقْوَامٌ فَفَازُوا ، وَتَخَلَّفَ أَقْوَامٌ فَخَابُوا ،
فَالْعَجَبُ مِنَ الضَّاحِكِ اللَّاهِي فِي الْيَوْمِ الَّذِي فَازَ فِيهِ السَّابِقُونَ ،
وَوَخَّابَ فِيهِ الْمُتَخَلِّفُونَ ؛ أَمَا وَاللَّهِ لَوْ كُشِفَ الْغِطَاءُ لَشَغَلَتْ
مُحْسِنَاتُ إِحْسَانِهِ وَمُسِيئَاتُ إِسَاءَتِهِ .

وَنَظَرَ عَبْدُ اللَّهِ إِلَى رَجُلٍ يَضْحَكُ مُسْتَعْرِقاً ، فَقَالَ لَهُ :
أَنْضَحِكَ وَلَعَلَّ أَكْفَانَكَ قَدْ أُخِذَتْ مِنْ عِنْدِ الْقَصَّارِ ؟
وَقَالَ الشَّاعِرُ :

وَكَمْ مِنْ فَتًى يُمَسِّي وَيُصْبِحُ آمِناً ،
وَقَدْ نُسِجَتْ أَكْفَانُهُ ، وَهُوَ لَا يَذَرِي

النهي عن خدمة السلطان

واتيان الملوك

لقي أبو جعفر سُفيانَ الثوريَّ في الطواف، فقال : ما الذي يَمْنَعُك أبا عبد الله أن تأتينا ؟

قال : إن الله نهانا عنكم فقال : « وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ . »

وقدِمَ هِشَامُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ الْمَدِينَةَ لزيارة القبر ، فدخل عليه أبو حازم الأعرج ، فقال : ما يَمْنَعُك أبا حازم أن تأتينا ؟

فقال : وما أصنع بإتيانك يا أمير المؤمنين ، إن أَدْنَيْتَنِي فَتَنَنْتَنِي ، وإن أَقْصَيْتَنِي أَخْزَيْتَنِي ، وليس عندي ما أَخَافُكَ عليه ، ولا عندك ما أَرْجُوكَ له .

قال عمرُ بْنُ الْخَطَّابِ ، رضي الله عنه : مَنْ دَخَلَ عَلَى الْمُلُوكِ خَرَجَ وَهُوَ سَاخِطٌ عَلَى اللَّهِ .

أرسل أبو جعفر الى سُفيانَ ، فلما دَخَلَ عليه قال : سَلِّني حاجتَكَ أبا عبد الله .

قال : وتَقْضِيهَا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؟

قال : نعم .

قال : فَإِنْ حَاجَتِي إِلَيْكَ أَنْ لَا تُرْسِلَ إِلَيَّ حَتَّى آتِيَكَ ، وَلَا تُعْطِنِي شَيْئاً حَتَّى أَسْأَلَكَ .

ثم خرج . فقال أبو جعفر : أَلْتَقَيْنَا الْحَبَّ إِلَى الْعُلَمَاءِ فَلَقَطُوا إِلَّا مَا كَانَ مِنْ سُفْيَانِ الثَّوْرِيِّ ، فَإِنَّهُ أَعْيَانَا فِرَاراً .
وقال عمر بن الخطاب ، رضي الله عنه : الدُّخُولُ عَلَى الْأَغْنِيَاءِ فِتْنَةٌ لِلْفُقَرَاءِ .

وقال زيادٌ لأصحابه : مَنْ أَغْبَطَ النَّاسَ عَيْشاً ؟
قالوا : الأَمِيرُ وَأَصْحَابُهُ .

قال : كَلَّا ، إِنَّ الْأَعْوَادَ الْمُنْبَرِ لَهَيْبَةٌ ، وَلِقَرَعُ لِحَامِ الْبَرِيدِ لَفَزَعَةٌ ، وَلَكِنْ أَغْبَطَ النَّاسَ عَيْشاً رَجُلٌ لَهُ دَارٌ يَسْكُنُهَا ، وَزَوْجَةٌ صَالِحَةٌ يَأْوِي إِلَيْهَا فِي كِفَافٍ مِنْ عَيْشٍ ، لَا يَعْرِفُنَا وَلَا نَعْرِفُهُ ، فَإِنْ عَرَفْنَا وَعَرَفْنَاهُ أَفْسَدْنَا عَلَيْهِ آخِرَتَهُ وَدُنْيَاهُ .

وقال الشاعر :

إِنَّ الْمُلُوكَ بِلَاءٌ حَيْثُمَا حَلُّوْا ،
فَلَا يَكُنْ لَكَ فِي أَكْنَافِهِمْ ظِلٌّ

ماذا تُريدُ بقومٍ ، إن هم غضبوا
جاروا عليك ، وإن أرضيتهم ملأوا ؟
فاستغن بالله عن إتيانهم أبداً ،
إن الوقوف ، على أبوابهم ، ذلٌ

وقال آخر :

لا تصحبَنَّ ذوي السُّلطان في عملٍ ،
تُصبحُ على وجلٍ تُمسي على وجلٍ
كُلُّ الترابِ ، ولا تعمل لهم عملاً ،
فالشرُّ أجمعُهُ في ذلك العمل

وفي كتاب كيلة ودمنة : صاحبُ السلطان مثلُ راكب
الأسد لا يدري متى يهيجُ به فيقتله .

دخل مالكُ بنُ دينارٍ على رجلٍ في السجن يزوره ، فنظر
إلى رجلٍ جُنديٍّ قد اتكأ ، في رجليه كُبولٌ^١ قد قرنت بين

١ الكبول : القيود ، الواحد : كبل .

ساقِيه ، وقد أُتي بسُفْرة كثيرة الألوان ، فدعا مالكَ بنَ دينار
الى طعامه ؛ فقال له : أخشى إن أكلتُ من طَعامك هذا أن
يُطرح في رجليّ مثلُ كُبولك هذه .

وفي كتابِ الهِنْد : السلطانُ مثلُ النار ، إن تباعدتَ عنها
احتجّتَ اليها ، وإن دنوتَ منها أحرقتك .

أيوب السَّخْتِيَانِي قال : طُلب أبو قِلابَة لِقضاء البَصْرة فهِرب
منها الى الشام ، فأقامَ حيناً ثم رَجع . قال أيوب : فقلتُ له :
لو وَليتَ القضاء وعدَلتَ كان لك أَجران .

فقال : يا أيُّوب ، إذا وقع السابِحُ في البحر كَم عسى أن
يَسبح ؟

وقال بَقِيَّة : قال لي إبراهيم : يا بَقِيَّة ، كن ذنباً ولا تكن
رأساً ، فإنَّ الرأسَ يهلك والذَّنبَ ينجو .

ومن قولنا في خِدمة السلطان وصُحبته :

تَجَنَّبْ لِبَاسَ الحَزِّ ، إن كُنْتَ عاقِلاً ،
وَلَا تَخْتِمْ يَوْماً بِفَصٍّ زَبَرٍ جَدٍ

وَلَا تَتَطَيَّبَ بِالْغَوَالِي تَعَطُّشَرًا ،
 وَتَسْحَبَ أَذْيَالَ الْمِلَاءِ الْمَعْضِدِ ١
 وَلَا تَتَخَيَّرَ صَيِّتَ النَّعْلِ زَاهِيًا ،
 وَلَا تَتَصَدَّرَ فِي الْفِرَاشِ الْمُمَهَّدِ ٢
 وَكُنْ هَمَلًا فِي النَّاسِ أَغْبَرَ شَاعِثًا ،
 تَرُوحُ وَتَعْدُو فِي إِزَارٍ وَبُرْجُدُ ٣
 يَرَى جِلْدَ كَبْشٍ ، تَحْتَهُ ، كَمَا اسْتَوَى
 عَلَيْهِ ، سَرِيرًا فَوْقَ صَرْحٍ مُمَرَّدٍ ٤
 وَلَا تَبْطُمَحِ الْعَيْنَانِ مِنْكَ إِلَى أَمْرٍ ،
 لَهُ سَطَوَاتٌ بِاللِّسَانِ ، وَبِالْيَدِ
 تَرَأَتْ لَهُ الدُّنْيَا بِزُبُرْجٍ عَيْشِيهَا ،
 وَقَادَتْ لَهُ الْأَطْمَاعُ مِنْ غَيْرِ مَقْوَدٍ ٥
 فَاسْمَنْ كَشْحِيهِ ، وَأَهْزِلْ دِينَهُ ،
 وَلَمْ يَرْتَقِبْ فِي الْيَوْمِ عَاقِبَةَ الْغَدِ

-
- ١ المعضد من الثياب : الذي له علم في موضع العضد .
 ٢ الصيت : ذو الصوت لجذته .
 ٣ البرجد : كساء غليظ .
 ٤ الممرد : المسوى ، الملمس .
 ٥ الزبرج : الزينة من وشي ونحوه .

فِيَوْمًا تَرَاهُ تَحْتَ سَوَاطِئِ مُجَرَّدَا؛
وَيَوْمًا تَرَاهُ فَوْقَ سَرَجٍ مُنْضَدٍ
فَيُرْحَمُ تَارَاتٍ ، وَيُحْسَدُ تَارَةً،
فَإِذَا شَرُّ مَرْحُومٍ وَشَرُّ مُحْسَدٍ

القول في الملوك

الأصمعيّ قال : بلغني أنّ الحسن قال : يا بن آدم ، أنت
أسيرُ الجُوع ، صريعُ الشَّبَع ، إنّ قوماً لبسوا هذه المَـطـارف
العِـتـاق ، والعِـمـائم الرِّقـاق ، وَوسَّعُوا دُورَهم ، وَضَيَّقُوا قُبُورَهم ،
وَأَسْمَنُوا دِوَابَّهم ، وَأَهْزَلُوا دِينَهم ، يَتَشَكَّى أَحَدُهم عَلَى شِمَالِهِ ،
وَيَأْكُلُ مِنْ غَيْرِ مَالِهِ ، فَإِذَا أَدْرَكَته الكِـيْـظَةُ قال : يا جارية ،
هاتِي هَاضُومَكَ ، وَيْلَكَ ! وَهَلْ تَهْضِمُ إِلَّا دِينَكَ ؟

يحيى بنُ يحيى قال : جَلَسَ مالِكٌ يَوماً فَأَطْرَقَ مَليّاً ، ثُمَّ
رَفَعَ رَأْسَهُ فَقَالَ : يَا حَسْرَةً عَلَى الْمُلُوكِ ، لَأَنَّهُمْ تَرَكُوا فِي
نَعِيمِ دُنْيَاهُمْ ، وَمَاتُوا قَبْلَ أَنْ يَمُوتُوا حُزْناً عَلَى مَا خَلَّفُوا ،
وَجَزَعاً مِمَّا اسْتَقْبَلُوا .

وقال الحسن ، وَذَكَرَ عِنْدَهُ الْمُلُوكُ : أَمَّا إِنَّهُمْ وَإِنْ
هَمَلَجَتْ بِهِمُ الْبِغَالُ ، وَأَطَافَتْ بِهِمُ الرِّجَالُ ، وَتَعَاقَبَتْ لَهُمْ

الأموال، إِنَّ ذُلَّ الْمَعْصِيَةِ فِي قُلُوبِهِمْ، أَيْ اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُذِلَّ
مَنْ عَصَاهُ .

●
الأصمعيُّ قال: خَطَبَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْحَسَنِ عَلَى مِنْبَرِ الْبَصْرَةِ
فَأَنشَدَ عَلَى الْمِنْبَرِ :

أَيْنَ الْمُلُوكِ الَّتِي عَنْ حَظِّهَا عَفَلْتُ ،
حَتَّى سَقَاهَا، بِكَأْسِ الْمَوْتِ، سَاقِيَهَا ؟

بلاء المؤمن في الدنيا

قال النبيُّ ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : المؤمن كالحَمَامة^١ من الزَّرْع تَمِيلُ بِهَا الرِّيحُ مَرَّةً كَذَا وَمَرَّةً كَذَا ، وَالْكَافِرُ كَالْأَرُزَّةِ الْمُجْدِيَّةِ^٢ حَتَّى يَكُونَ انْجِعَافُهَا^٣ مَرَّةً .

وَمَعْنَى هَذَا الْحَدِيثِ : تَرُدُّ الرِّزَايَا عَلَى الْمُؤْمِنِ وَتَجَافِيهَا عَنِ الْكَافِرِ لِيَزْدَادَ إِثْمًا .

وَقَالَ وَهْبُ بْنُ مُنَبِّهٍ : قَرَأْتُ فِي بَعْضِ الْكُتُبِ : إِنِّي لَأَذُودُ عِبَادِي الْمَخْلُصِينَ عَنْ نَعِيمِ الدُّنْيَا كَمَا يَذُودُ الرَّاعِي الشَّفِيقُ^٤ إِبِلَهُ عَنْ مَوَارِدِ الْهَلَكَةِ .

وَقَالَ الْفُضَيْلُ بْنُ عِيَّاضٍ : أَلَا تَرَوْنَ كَيْفَ يُزَوِّي اللهُ الدُّنْيَا عَمَّنْ يُحِبُّ مِنْ خَلْقِهِ وَيُمَرِّمُهَا ، عَلَيْهِ مَرَّةً بِالْجُوعِ وَمَرَّةً بِالْعُرْيِ وَمَرَّةً بِالْحَاجَةِ ، كَمَا تَصْنَعُ الْأُمُّ الشَّفِيقَةُ بَوْلَهَا ، تَقْطِطُهُ

١ الحَمَامة : الغُصَّةُ .

٢ المَجْدِيَّةُ : الثَّابِتَةُ .

٣ انْجِعَافُهَا : انْقِلَاعُهَا .

٤ يُمَرِّمُهَا : يَجِيزُهَا وَيُعْدِيهَا .

بالصبر مرّة ، وبالخضض^١ مرّة ، وإنما تريد بذلك ما هو خير له .

وفي الحديث : إن النبي ، صلى الله عليه وسلم ، قال : أخبرني جبريل عن الله ، تبارك وتعالى ، أنه قال : ما ابتليت عبدي ببليّة في نفسه أو ماله أو ولده فتلقّاها بصبر جميل إلاّ استحييت يوم القيامة أن أرفع له ميزاناً أو أنشر له ديواناً .

كتمان البلاء اذا نزل

قال النبي ، صلى الله عليه وسلم : من ابتلي ببلاء فكتمه
ثلاثة أيام صبراً واحتساباً كان له أجر شهيد .

وسمِعَ الفضيل بن عياض رجلاً يشكو بلاءً نَزَلَ به ،
فقال : يا هذا ، تشكو مَنْ يَرْحَمُكَ الى مَنْ لا يَرْحَمُكَ !
وقال : مَنْ شكا مُصِيبَةً نَزَلَتْ به فكأنما شكا رَبَّهُ .

وقال دُرَيْد بن الصَّمَّة يَرثِي أخاه عبد الله بن الصَّمَّة :
قليلَ التشكِّي للمصائب ، ذا كراً ،
من اليوم ، أعقابَ الأعاديثِ في عَدِ

وقال تَابِطَ شَرّاً :

قليلَ التشكِّي للمُلمِّ يُصِيبُهُ ،
كثيرَ النّوى ، شتّى الهوى والمَسالِكِ

الشَّيباني قال : أخبرني صديقٌ لي قال : سَمِعَني شَرِيح وأنا

أَشْتَكِي بَعْضَ مَا غَمَّنِي إِلَى صَدِيقٍ لِي ، فَأَخَذَ بِيَدِي وَقَالَ :
يَا بَنَ أَخِي ، إِيَّاكَ وَالشُّكْرَى إِلَى غَيْرِ اللَّهِ ، فَإِنَّهُ لَا يَخْلُو مَنْ
تَشْكُو إِلَيْهِ أَنْ يَكُونَ صَدِيقًا أَوْ عَدُوًّا ، فَأَمَّا الصَّدِيقُ فَتَحْزَنُ لَهُ
وَلَا يَنْفَعُكَ ، وَأَمَّا الْعَدُوُّ فَيَشْتَمُ بِكَ .

انْظُرْ إِلَى عَيْنِي هَذِهِ ، وَأَشَارَ إِلَى إِحْدَى عَيْنَيْهِ ، فَوَاللَّهِ مَا
أَبْصَرْتُ بِهَا شَخْصًا وَلَا طَرِيقًا مِنْذُ خَمْسَ عَشْرَةَ سَنَةً ، وَمَا
أَخْبَرْتُ بِهَا أَحَدًا إِلَى هَذِهِ الْغَايَةِ ، أَمَا سَمِعْتَ قَوْلَ الْعَبْدِ الصَّالِحِ :
« إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ » ؟ فَاجْعَلْهُ مَشْكَاكًا وَمَقْزَعًا
عِنْدَ كُلِّ نَائِبَةٍ تَنْوُبُكَ ، فَإِنَّهُ أَكْرَمُ مَسْئُولٍ ، وَأَقْرَبُ مَدْعُوٍّ
إِلَيْكَ .

•
كَتَبَ عَقِيلٌ إِلَى أَخِيهِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ، رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمَا ،
يَسْأَلُهُ عَنْ حَالِهِ ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ :

فَإِنْ تَسَأَلْتَنِي كَيْفَ أَنْتَ ، فَإِنِّي
جَلِيدٌ عَلَى رَيْبِ الزَّمَانِ ، صَلِيبٌ
عَزِيزٌ عَلَى أَنْ تُرَى بِي كَأَبَةٍ ،
فَيَفْرَحَ وَاشٍ ، أَوْ يُسَاءَ حَبِيبٌ

وكان ابنُ سُبرُومة إذا نزلتْ به نازلةٌ قال : سحابةٌ صَيِّفٌ
عن قليلٍ تَقَشَّعُ .

•
وكان يُقال : أَرْبَعٌ مِنْ كُنُوزِ الْجَنَّةِ : كَيْتَانِ الْمُصِيبَةِ ،
وَكَيْتَانِ الصَّدَقَةِ ، وَكَيْتَانِ الْفَاقَةِ ، وَكَيْتَانِ الْوَجْعِ .

القناعة

قال النبي ﷺ ، صلى الله عليه وسلم : من أصبح وأمسى آمناً في سربه معافى في بدنه عنده قوت يومه كان كمن حيزت له الدنيا بحذافيرها .

السَّرب : المسلك ؛ يقال : فلان واسع السَّرب ، يعني المسلك والمذهب .

وقال قيس بن عاصم : يا بُنيّ ، عليكم بحِفْظِ المال فإنه منبَهَةٌ للكریم ، ويُستَغْنَى به عن اللّيم . وإياكم والمساءلة ، فإنها آخر كَسْبِ الرّجل .

وقال سعد بن أبي وقاص لابنه : يا بُنيّ ، إذا طلبت الغنى فاطلبه بالقناعة ، فإنها مال لا ينفد ؛ وإياك والطمع ، فإنه فقر حاضر ؛ وعليك بالياس ، فإنك لا تياس من شيء قط إلا أغناك الله عنه .

وقالوا : الغنى من استغنى بالله ، والفقير من افتقر الى الناس .

وقالوا : لا غنى إلا غنى النفس .

وقيل لأبي حازم : ما مائك ؟

قال : مالان ، الغنى بما في يدي عن الناس ، واليأسُ عما في أيدي الناس .

وقيل لآخر : ما مائك ؟

فقال : التجمُّل في الظاهر ، والقصد في الباطن .

وقال آخر :

لا بُدَّ ممَّا ليس منه بدُّ ، اليأسُ حُرٌّ والرجاءُ عَبدُ
وليس يُغني الكدُّ إلا الجَدُّ

وقالوا : ثمرةُ القناعة الرِّاحة ، وثمرَةُ الحرِّصِ التعب .

وقال البحري :

إذا ما كان عندي قُوتُ يومٍ ، طَرَحْتُ الهَمَّ عَنِّي ، يا سَعِيدُ
ولم تَخْطُرْ هُمومُ غدٍ ببالي ، لأنَّ غَدًا له رِزْقٌ جَدِيدُ

وقال عُروة بن أُذينة :

وقد عَلِمْتُ ، وَخَيْرُ الْقَوْلِ أَصْدَقُهُ ،
بأنَّ رِزْقِي ، وَإِنْ لَمْ يَأْتِ ، يَأْتِينِي
أَسْعَى إِلَيْهِ فَيُعِينَنِي تَطَلُّبُهُ ،
ولو قَعَدْتُ أَتَانِي لَا يُعَنِّينِي



ووفد عُروة بن أُذينة على عبد الملك بن مروان في رجال
من أهل المدينة ، فقال له عبد الملك : أَلَسْتَ الْقَائِلَ يَا عُروة :

أَسْعَى إِلَيْهِ فَيُعِينَنِي تَطَلُّبُهُ ؟

فما أراك إِلَّا قد سَعَيْتَ لَهُ .

فخرج عنه عُروة وشخص من فَوْرِهِ الى المدينة . فافتقده
عبدُ الملك ، فقبل له : تَوَجَّهْ الى المدينة ؛ فَبِعْثْ إِلَيْهِ بِأَلْفِ دِينَارٍ .
فلما أَتَاهُ الرِّسُولُ قال : قُلْ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ : الأَمْرُ عَلَى مَا قُلْتَ ،
قَدْ سَعَيْتُ لَهُ فَأَعْيَانِي تَطَلُّبُهُ ، وَقَعَدْتُ عَنْهُ فَأَتَانِي لَا يُعَنِّينِي .



وقال النبيُّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إِنَّ رُوحَ الْقُدُسِ نَفَثَ
فِي رُوعِي أَنَّ نَفْسًا لَنْ تَمُوتَ حَتَّى تَسْتَوِيَ فِي رِزْقِهَا ، فَاتَّقُوا
اللَّهَ وَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ .



وقال تعالى فيما حكي عن لقمان الحكيم : « يا بُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ
تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي
السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ. »

وقال الحسن : ابن آدم ، لستَ بسابقٍ أجلك ، ولا ببالغ
أملك ، ولا مغلوبٍ على رزقك ، ولا بمرزوقٍ ما ليس لك ،
فعلامَ تقتل نفسك ؟

وقال ابن عبد ربه : قد أخذتُ هذا المعنى فنظمتُه في شعر
فقلت :

لستُ بقاضٍ أُملي ،	ولا بعاذٍ أجلي
ولا بمغلوبٍ على الرِّزِّ	ق ، الذي قدَّرَ لي
ولا بمُعطًى رِزْقَ غِيءٍ	ري بالشِّقا ، والعمل
فليتَ شعري ما الذي	أدخلني في سُغْلي ؟

وقال آخر :

سيكون الذي قُضِيَ ، غَضِبَ المرءُ أم رَضِيَ

وقال محمودُ الورّاق :

أما عَجَبُ أَنْ يَكْفُلَ النَّاسُ بَعْضَهُمْ
بِبَعْضٍ ، فيَرْضَى بِالْكَفِيلِ الْمُطَالِبُ
وقد كَفَلَ اللهُ الْوَفَى بَعْدَهُ ،
فَلَمْ يَرْضَ ، وَالْإِنْسَانُ فِيهِ عَجَائِبُ
عَلِيمٌ بِأَنَّ اللهَ مُوفٍ بِوَعْدِهِ ،
وَفِي قَلْبِهِ شَكٌّ عَلَى الْقَلْبِ دَائِبُ
أَبَى الْجَهْلُ إِلَّا أَنْ يَضُرَّ بِعِلْمِهِ ،
فَلَمْ يُغْنِ عَنْهُ عِلْمُهُ وَالتَّجَارِبُ
وَلَهُ أَيْضاً :

أَتَطْلُبُ رِزْقَ اللهِ مِنْ عِنْدِ غَيْرِهِ ،
وَتُصْبِحُ مِنْ خَوْفِ الْعَوَاقِبِ آمِنًا
وَتَرْضَى بَعْرَافٍ ، وَإِنْ كَانَ مُشْرِكَاً ،
ضَمِينًا ، وَلَا تَرْضَى بِرَبِّكَ ضَامِنًا ؟
وقال أيضاً :

غَنَى النَّفْسِ يُغْنِيهَا ، إِذَا كُنْتَ قَانِعًا ،
وَلَيْسَ بِمُغْنِيكَ الْكَثِيرُ مِنَ الْحِرْصِ

١ لم يرض : الضمير يعود الى المطالب في البيت السابق .

وإنَّ اعتقادَهم للخيرِ جامعٌ،
وقليلةٌ هم المرءُ تدعو إلى النقص

وله أيضاً :

مَن كان ذا مالٍ كثيرٍ ولم يَقْنَعْ، فذاك المؤسِرُ المعسِرُ
وكلُّ مَن كان قنوعاً، وإنَّ كان مُقِلًّا، فهو المُكثِرُ
الفقرُ في النَّفسِ، وفيها الغنى، وفي غنى النَّفسِ الغنى الأكبر

وقال بكر بن حماد :

تبارك مَن ساسَ الأمورَ بعِلْمِهِ،
وذُلَّ له أهلُ السَّمواتِ والأرضِ
ومَن قسَمَ الأرزاقَ بين عِباده،
وفضَّلَ بعضَ النَّاسِ فيها على بعض
فمَن ظنَّ أنَّ الحِرْصَ فيها يزيده،
فقولوا له يزداد في الطول والعرض

وقال ابن أبي حازم :

ومُنتظِرٌ للموتِ في كلِّ ساعةٍ،
يَشِيدُ وَيَبْنِي، دَائِباً، وَيُحَصِّنُ

له حينَ تَبْلُوه حَقِيقَةُ مُوقِنٍ ،
وأفعاله أفعالُ من ليس يُوقِن
عيانُ كإنكارٍ ، وكالجهلِ عِلْمُهُ ،
يَشْكُ بِهِ فِي كُلِّ مَا يَتَقَنَّ

وقال أيضاً :

اضرَعِ الى الله لا تَضْرَعِ الى النَّاسِ ؛
واقنعْ بِيَأْسٍ فَإِنَّ العِزَّ فِي اليَأْسِ
واستغنِ عن كل ذي قُرْبى وذِي رَحِمٍ ؛
إِنَّ الغِنَى مَنْ استَغْنَى عن النَّاسِ

وله أيضاً :

فلا تَحْرِصَنَّ ، فَإِنَّ الأُمُورَ ، بِكَفِّ الأِلَه ، مَقَادِيرُهَا
فليسَ بَأْتِيكَ مِنْهِيهَا ، ولا قَاصِرٍ عَنْكَ مَأْمُورُهَا

وله أيضاً :

كَمْ ، الى كَمْ أَنْتَ ، لِلْحِرْصِ صِرَ وَلِلآمَالِ ، عَبْدُ
ليس يُجْدِي الحِرْصُ والسَّعْدُ يَ ، إِذَا لَمْ يَكُ جَدُّ
ما ، لِمَا قَدْ قَدَّرَ اللَّ هُ مِنْ الأَمْرِ ، مَرَدُّ
قد جَرَى بِالشَّرِّ نَحْسُ ؛ وَجَرَى بِالْخَيْرِ سَعْدُ

وَجَرَى النَّاسُ عَلَى جَرٍّ يَسِيمَا ، قَبْلُ وَبَعْدُ
 أَمِنُوا الدَّهْرَ ، وَمَا لِلدَّهْرِ وَالْأَيَّامِ عِنْدَ
 غَالِبِهِمْ ، فَاصْطَلَمَ الْجُمُوعَ ، وَأَفْنَى مَا أَعْدُوا
 إِنَّهَا الدُّنْيَا ، فَلَا تَسِحُّ فِىهَا ، جَزْرٌ وَمَدُّ

•
 وَقَالَ الْأَضْبَطُ بْنُ قُرَيْعٍ :

أَرْضَ مَنْ الدَّهْرُ مَا أَتَاكَ بِهِ ، مَنْ يَرْضَ يَوْمًا بَعِيشَهُ نَفَعَهُ
 قَدْ يَجْمَعُ الْمَالَ غَيْرُ آكِلِهِ ، وَيَأْكُلُ الْمَالُ غَيْرُ مَنْ جَمَعَهُ

•
 وَقَالَ مُسْلِمُ بْنُ الْوَلِيدِ :

لَنْ يُبْطِئَ الْأَمْرُ مَا أَمَلْتَ أَوْبَتَهُ ،
 إِذَا أَعَانَكَ فِيهِ رِفْقٌ مُتَّسِدٍ
 وَالْدَّهْرُ أَخَذَ مَا أُعْطِيَ ، مُكَدِّرُ مَا
 أَصْفَى ، وَمُفْسِدُ مَا أَهْوَى لَهُ بَيْدُ

فَلَا يَغُرُّنَّكَ مِنْ دَهْرٍ عَظِيَّتُهُ ،
فَلَيْسَ يَتْرُكُ مَا أُعْطِيَ عَلَى أَحَدٍ

وقال كلثوم العتّابي :

تَلُومُ ، عَلَى تَرَكِ الْغِنَى ، بَاهِلِيَّةٌ
لَوْ الدَّهْرُ عَنْهَا كُلَّ طَرْفٍ وَتَالِدٌ

رَأَتْ حَوْلَهَا النِّسْوَانِ يَرْفُلْنَ فِي الْكُسَى ،
مُقَلَّدَةً أَجْيَادُهَا بِالْقِلَادِ

يَسْرُكُ أَنِي نِلْتُ مَا نَالَ جَعْفَرٌ ؛
وَمَا نَالَ يَحْيَى ، فِي الْحَيَاةِ ، ابْنُ خَالِدٍ

وَأَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَعْضَنِي ،
مُعْضَهُمَا ، بِالْمُرْهَقَاتِ الْخَدَائِدِ

ذَرَيْتَنِي تَجَنِّئِي مِيتَتِي مُطْمَئِنَّةً ،
وَلَمْ أَتَجَشَّمْ هَوْلَ تِلْكَ الْمَوَارِدِ

فَإِنَّ الَّذِي يَسْمُو إِلَى الرُّتَبِ الْعُلَا ،
سَيُرْمَى بِالْوَانِ الدُّهَى وَالْمَسَاكِينِ

١ الطرف : المال الطارف والحديث . التالذ : المال الموروث .

٢ أعضه بالسيف : ضربه به .

وَجَدْتُ لَهَا ذَاتِ الْحَيَاةِ مَشُوبَةً
بِمُسْتَوْدَعَاتٍ فِي بَطْنِ الْأَسَاوِدِ

وقال :

حتى متى أنا في حلٍّ وترحالٍ ،
وطولٍ شغلٍ بإدبارٍ وإقبالٍ
ونازح الدار ما أنفكُ مُعْتَرِبًا
عن الأُحْبَّةِ ، ما يَدْرُونَ مَا حَالِي
بِمَشْرِقِ الْأَرْضِ ، طَوْرًا ، ثُمَّ مَغْرِبِهَا ،
لَا يَخْطُرُ الْمَوْتُ مِنْ حِرْصٍ عَلَى بَالِي
ولو قَسَيْعَتْ أَتَانِي الرِّزْقُ فِي دَعَةٍ ؛
إِنَّ الْقُنُوعَ الْغِنَى ، لَا كَثْرَةُ الْمَالِ

وقال عبدُ الله بن عباس : القناعة مالٌ لا نَفَادَ لَهُ .

وقال عليُّ بنُ أبي طالب ، رضي الله عنه : الرِّزْقُ رِزْقَانِ :
فَرِزْقٌ تَطْلِبُهُ وَرِزْقٌ يَطْلُبُكَ ، فَإِنْ لَمْ تَأْتِهِ أَتَاكَ .

وقال حبيب :

فالرزق لا تَكْمَدُ عليه ، فإنه يأتي ، ولم تَبْعَثْ اليه رسولا

وفي كتاب للهند : لا ينبغي للملتمس أن يَلْتَمِسَ من العيش
إلا الكفاف الذي به يدفع الحاجة عن نفسه ، وما سوى ذلك
إنما هو زيادة في تعبهِ وغمِّهِ .

ومن هذا قالت الحكماء : أقلُّ الدنيا يَكْفِي وأكثرُها
لا يَكْفِي .

وقال أبو ذؤيب :

والنَّفْسُ رَاغِبَةٌ ، إِذَا رَغِبَتْهَا ، وَإِذَا تُرِدُّ إِلَى قَلِيلٍ تَقْنَعُ

وقال المسيح ، عليه السلام : عَجَباً مِنْكُمْ ، إِنَّكُمْ تَعْمَلُونَ
لِلدُّنْيَا وَأَنْتُمْ تُرْزَقُونَ فِيهَا بِلا عَمَلٍ ، وَلَا تَعْمَلُونَ لِلْآخِرَةِ وَأَنْتُمْ
لَا تُرْزَقُونَ فِيهَا إِلَّا بِالْعَمَلِ .

وقال الحسن : عَيَّرَتِ الْيَهُودُ عِيسَى ، عَلَيْهِ السَّلَامُ ، بِالْفَقْرِ ،
فَقَالَ : مِنَ الْغِنَى أَتَيْتُمْ .

أخذ هذا المعنى محمودُ الورَّاق فقال :

يا عَائِبَ الْفَقْرِ أَلَا تُرَدِّجِرْ؟ عَيْبُ الْغِنَى أَكْثَرُ لَوْ تَعْتَبِرْ

مِنْ شَرَفِ الْفَقْرِ، وَمِنْ فَضْلِهِ عَلَى الْغِنَى، إِنْ صَحَّ مِنْكَ النَّظَرُ
أَنْكَ تَعْصِي كِي تَنَالَ الْغِنَى، وَلَيْسَ تَعْصِي اللَّهَ كِي تَقْتَقِرَ

سُفْيَانُ عَنْ مُغِيرَةَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ قَالَ: كَانُوا يَكْرَهُونَ الطَّلَبَ
فِي أَطَارِفِ الْأَرْضِ.

وَقَالَ الْأَعْمَشُ: أَعْطَانِي الْبَنَانِيُّ مَضَارِبَهُ أَخْرَجَ بِهَا إِلَى مَاءٍ^١،
فَسَأَلْتُ إِبْرَاهِيمَ، فَقَالَ لِي: مَا كَانَ يَطْلُبُونَ الدُّنْيَا هَذَا الطَّابِ.
وَبَيْنَ مَاءٍ وَبَيْنَ الْكَوْفَةِ عَشْرَةُ أَيَّامٍ.

الْأَصْمَعِيُّ عَنْ يُونُسَ بْنِ حَبِيبٍ قَالَ: لَيْسَ دُونَ الْإِيمَانِ غِنَى
وَلَا بَعْدَهُ فَقْرٌ.

قِيلَ لِحَالِدِ بْنِ صَفْوَانَ: مَا أَصْبَرَكَ عَلَى هَذَا الشَّوْبِ الْخَلَقِ؟
قَالَ: رَبٌّ مَمْلُولٌ لَا يُسْتَطَاعُ فِرَاقُهُ.

وَكُتِبَ حَكِيمٌ إِلَى حَكِيمٍ يَشْكُو إِلَيْهِ دَهْرَهُ: إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ
أَحَدٍ أَنْصَفَهُ زَمَانُهُ فَتَصَرَّفَتْ بِهِ الْحَالُ حَسَبَ اسْتِحْقَاقِهِ، وَإِنَّكَ
لَا تَرَى النَّاسَ إِلَّا أَحَدَ رَجُلَيْنِ: إِمَّا مُقَدَّمٌ أَخَّرَهُ حَظُّهُ، أَوْ

مُتَأَخِّرٌ قَدَمَهُ بَجَدُّهُ ، فافرض بالحال التي أنت عليها وإن كانت دون أملك واستحقاقك اختياراً ، وإلا رضيت بها اضطراراً .

وقيل للأحنف بن قيس : ما أصبرك على هذا الثوب ؟ فقال : أحقُّ ما صبر عليه ما ليس إلى مفارقتِه سَبِيل .

قال الأصمعيُّ : رأيت أعرابيةً ذات جمال تسأل بِنِي ، فقلت لها : يا أمة الله تسألين ولك هذا الجمال ؟

قالت : قَدَرُ الله فما أصنع ؟

قلت : فمن أين معاشكم ؟

قالت : هذا الحاجُّ ، نسقيهم ونغسل ثيابهم .

قلت : فإذا ذهب الحاجُّ فمن أين ؟

فنظرت إليّ وقالت : يا صلت الجبين^١ ، لو كنّا نعيش من حيث نعلم ما عشنا .

وقيل لرجلٍ من أهل المدينة : ما أصبرك على الحُبز والتَّمْر ؟ قال : ليتهما صَبَرا عليّ .

١ صلت الجبين : واضحه .

الرضا بقضاء الله

قالت الحكماء : أصلُ الزُّهد الرِّضا عن الله .

وقال الفضيل بن عياض : استخيروا الله ولا تتخيروا عليه ، فرُبما اختار العبدُ أمراً هلاكه فيه .

وقالت الحكماء : رُبَّ مُحْسودٍ على رِخاءٍ هو شقاؤه ، ومَرحومٍ من سُقمٍ هو شفاؤه ، ومَغْبُوطٌ بِنِعْمَةٍ هي بِلَاؤُهُ .

وقال الشاعر :

قَدْ يُنْعِمُ اللَّهُ بِالْبَلَوَى ، وَإِنْ عَظُمَتْ ،
وَيَبْتَلِي اللَّهُ بَعْضَ الْقَوْمِ بِالنَّعَمِ

وقال بعضهم : خَاطَبَنِي أَخٌ مِنْ إِخْوَانِي وَعَاتَبَنِي فِي طَلَبِ
الرُّتَبِ ، فَأَنشَدَنِي :

كَمْ افْتَقَرْتُ ، فَلَمْ أَقْعُدْ عَلَى كَمَدٍ ؛
وَكَمْ غَنَيْتُ ، فَلَمْ أَكْبُرْ عَلَى أَحَدٍ

إني امرؤ هانت الدنيا عليّ، فما
أشتاق فيها إلى مالٍ ولا ولدٍ

وقالوا : من طلب فوق الكفاية رجع من الدّهر إلى
أبعد غاية .

من قتر على نفسه

وترك المال لوارثه

زياد عن مالك قال : مَنْ لم يَكُنْ فيه خَيْرٌ لنفسه لم يَكُنْ فيه خَيْرٌ لغيره ، لأن نفسه أولى الأنفس كُلِّها ، فإذا ضَيَّعها فهو لما سِوَاها أَضَيَّع ؛ ومن أَحَبَّ نفسه حاطها وأَبْقَى عليها وتَجَنَّبَ كُلَّ ما يَعْيبُها أو يَنْقُصُها ، فَجَنَّبَها السَّرِقةَ مَخَافَةَ الْقَطْعِ ، والزَّنى مَخَافَةَ الْحَدِّ ، والقَتْلَ خَوْفَ الْقِصَاصِ .

عليُّ بن داود الكاتب قال : لما افتتح هارون الرَّشيدُ هِرَاقْلَةَ^١ أَباحها ثلاثة أَيَّام ، وكان بِطَرِيقِها الحَارِجُ عليه بَسِيْلُ الرُّومِي ، فنظر إليه الرَّشيدُ مُقْبِلًا على جِدار فيه كِتابَةٌ باليُونانية ، وهو يُطِيلُ النَّظَرَ فيه ، فدعا به وقال له : لِمَ تَرَكْتَ النَّظَرَ الى الانتِهَابِ والغَنِيمةِ وأَقْبَلْتَ على هذا الجِدارِ تَنْظُرُ فيه ؟

١ هرقة : مدينة ببلاد الروم .

فقال : يا أمير المؤمنين ، قرأتُ في هذا الجِدار كتاباً هو
أحبُّ إليَّ من هِرَقْلَة وما فيها .

قال له الرشيد : ما هو ؟

قال : بِسْمِ اللَّهِ الْمَلِكِ الْحَقِّ الْمُبِينِ . ابنَ آدَمَ ، غافِصٌ^١
الفرصة عند إمكانها ، وکیلِ الأمور الى وليِّها ، ولا تَحْمِلِ على
قلبك همَّ يومٍ لم يأتِ بعدُ ، إنَّ يَكُنْ من أجلك يَأْتِكَ اللَّهُ
بِرِزْقِكَ فيه ، ولا تَجْعَلْ سَعْيَكَ في طلبِ المَالِ أُسُوةً
بِالْمَغْرُورِينَ ، فَرُبَّ جَامِعٍ لِبَعْلٍ حَلِيلَتُهُ ، واعلم أنَّ تَقْتِيرَ المَرْءِ
على نَفْسِهِ هو تَوْفِيرٌ مِنْهُ على غَيْرِهِ ، فَالسَّعِيدُ من اتَّعَظَ بِهَذِهِ
الكَلِمَاتِ وَلَمْ يُضَيِّعْهَا .

قال له الرشيد : أَعِدْهَا عَلَيَّ يَا بَسِيلُ ؛ فَأَعَادَهَا عَلَيْهِ
حَتَّى حَفِظَهَا .



وقال الحسن : ابنَ آدَمَ ، أَنْتَ أَسِيرٌ في الدُّنْيَا ، رَضِيتَ
من لَذَّتِهَا بما يَنْقُضِي ، ومن نَعِيمِهَا بما يَمْضِي ، ومن مُلْكِهَا بما
يَنْفَدُ ، فَلَا تَجْمَعْ الْأَوْزَارَ لِنَفْسِكَ وَلَأَهْلِكَ الْأَمْوَالِ ، فَإِذَا مِتَّ
حَمَلْتَ الْأَوْزَارَ إِلَى قَبْرِكَ ، وَتَرَكْتَ أَمْوَالَكَ لِأَهْلِكَ .

١ غافص : فاجئ .

أخذ أبو العتاهية هذا المعنى فقال :

أَبْقَيْتَ مَالَكَ مِيرَاثًا لَوَارِثِهِ ،
فَلَيْتَ شِعْرِي مَا أَبْقَى لَكَ الْمَالُ

الْقَوْمُ بَعْدَكَ فِي حَالٍ تَسْرُهُمْ ،
فَكَيْفَ بَعْدَهُمْ دَارَتْ بِكَ الْحَالُ ؟

مَلَّثُوا الْبُكَاءَ ، فَمَا يَبْكِيكَ مِنْ أَحَدٍ ،
وَاسْتَحْكَمَ الْقَيْلُ فِي الْمِيرَاثِ وَالْقَالَ



وفي الحديث المرفوع : أَشَدُّ النَّاسِ حَسْرَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ رَجُلٌ
كَسَبَ مَالًا مِنْ غَيْرِ حِلِّهِ فَدَخَلَ بِهِ النَّارَ ، وَوَرَّثَهُ مَنْ عَمِلَ
فِيهِ بِطَاعَةِ اللَّهِ فَدَخَلَ بِهِ الْجَنَّةَ .



وقيل لعبد الله بن عمر : تُوَفِّيَ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ وَتَرَكَ مِائَةَ
أَلْفٍ ، قَالَ : لَكُنَّهَا لَا تَتْرُكُهُ .



ودخل الحسنُ على عبد الله بن الأَهمْتِ يَعُودُهُ فِي مَرَضِهِ فَرَأَاهُ
يُصَعِّدُ بَصْرَهُ فِي صُنْدُوقٍ فِي بَيْتِهِ وَيُصَوِّبُهُ ، ثُمَّ التَفَتَ إِلَى
الْحَسَنِ ، فَقَالَ : أَبَا سَعِيدٍ ، مَا تَقُولُ فِي مِائَةِ أَلْفٍ فِي هَذَا الصُّنْدُوقِ
لَمْ أَوَدَّ مِنْهَا زَكَاةً ، وَلَمْ أَصِلْ بِهَا رَحِمًا ؟

فقال له : تَكَلَّمْتُكَ أُمَّكَ ! ولمن كنت تجمعها ؟

قال : لِرَوْعة الزمان ، وجَفْوَةِ السلطان ، ومُكَاثِرَةِ العَشيرة .

ثم مات ، فَشَهِدَ الحَسَنُ جِنازَتَهُ ، فلما فرَغَ من دَفْنِهِ
ضَرَبَ بِيَدِهِ القَبْرَ ، ثم قال : انظُرُوا إلى هَذَا ، أَتَاهُ شَيْطَانُهُ
فِحَذَّرَهُ رَوْعةَ زَمَانِهِ ، وجَفْوَةَ سُلْطَانِهِ ، ومُكَاثِرَةَ عَشِيرَتِهِ ، عَما
اسْتَوْدَعَهُ اللهُ واستَعْمَرَهُ فِيهِ ، انظُرُوا إِلَيْهِ يَخْرُجُ مِنْهَا مَذْمُومًا
مَذْهُورًا .

ثم قال : أَيُّهَا الْوَارِثُ ، لَا تُخْذَعَنَّ كَمَا تُخْذَعُ صُوبَ يَحْيَاكَ
بِالْأَمْسِ ، أَتَاكَ هَذَا الْمَالُ حَلَالًا فَلَا يَكُونُ عَلَيْكَ وَبَالًا ، أَتَاكَ
عَقْوًا صَفْوًا مِنْ كَانَ لَهُ جَمُوعًا مَنُوعًا ، مِنْ بَاطِلٍ جَمَعَهُ ،
وَمِنْ حَقٍّ مَنَعَهُ ، قَطَعَ فِيهِ لُجْجُ الْبَحَارِ ، وَمَقَاوِزُ الْقِفَارِ ،
لَمْ تَكْذَحْ فِيهِ بِيَمِينٍ ، وَلَمْ يَغْرُقْ لَكَ فِيهِ جَبِينٌ ، إِنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ
يَوْمُ حَسْرَةٍ وَنَدَامَةٍ ، وَإِنْ مِنْ أَعْظَمِ الْحَسَرَاتِ غَدَاً أَنْ تَرَى
مَالَكَ فِي مِيزَانٍ غَيْرِكَ ، فَيَا لَهَا حَسْرَةً لَا تُقَالُ ، وَتُوبَةً لَا تُنَالُ !

•

لَمَّا حَضَرَتْ هِشَامَ بْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ الْوَفَاةُ ، نَظَرَ إِلَى أَهْلِهِ
يَبْكُونَ عَلَيْهِ ، فَقَالَ : جَادَ لَكُمْ هِشَامُ بِالْدُّنْيَا وَجُدْتُمْ لَهُ بِالْبُكَاءِ ،
وَتَرَكْتُمْ لَكُمْ مَا جَمَعَ وَتَرَكْتُمْ لَهُ مَا عَمِلَ ، مَا أَعْظَمَ مُنْقَلَبَ
هِشَامٍ إِنْ لَمْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُ !

نقصان الخير وزيادة الشر

عاصم بن حميد عن مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ قَالَ : إِنَّكُمْ لَنْ تَرَوْا
مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا بَلَاءً وَفِتْنَةً ، وَلَا يَزِيدُ الْأَمْرَ إِلَّا شِدَّةً ، وَلَا الْأُيُومَ
إِلَّا غِلَظًا ، وَمَا يَأْتِيكُمْ أَمْرٌ يَهْوُلُكُمْ إِلَّا حَقَّرَهُ مَا بَعْدَهُ .

قال الشاعر :

الْخَيْرُ وَالشَّرُّ مُزْدَادٌ وَمُنْتَقَصٌ ،

فَالْخَيْرُ مُنْتَقَصٌ وَالشَّرُّ مُزْدَادٌ

وَمَا أُسْأَلُ عَنْ قَوْمٍ عَرَفْتُهُمْ ،

ذَوِي فَخَائِلَ ، إِلَّا قِيلَ قَدْ بَادُوا

العزلة عن الناس

قال النبي ، صلى الله عليه وسلم : استأنسوا بالوحدة عن
جلساء السوء .

وقال : إنَّ الإسلام بدأ غريباً ولا تقوم الساعة حتى يعود
غريباً كما بدأ .

قال العتّابي : ما رأيت الراحة إلا مع الخلوة ، ولا
الأنس إلا مع الوحشة .

وقال النبي ، صلى الله عليه وسلم : خيركم الأتقياء الأصفياء
الذين إذا حضروا لم يُعْرَفُوا ، وإذا غابوا لم يُفْتَقَدُوا .
وقال : لا تدعوا حظكم من العزلة فإنَّ العزلة لكم عبادة .

وقال لقمان لابنه : استعذ بالله من شرار الناس وكن
من خيارهم على حذر .

وقال إبراهيم بن أدهم : فِرَّ من الناس فِرارك من الأسد .

وقيل لابراهيم بن أدهم : لِمَ تَجْتَنِبُ النَّاسَ ؟ فَأَنْشَأَ يَقُولُ :
أَرْضَ اللَّهِ صَاحِبًا ، وَذَرِ النَّاسَ جَانِبًا
قَلْبَ النَّاسِ ، كَيْفَ شِئْتَ ، تَجِدُهُمْ عَقَارِبًا

•
وكان محمد بن عبد الملك الزيات يأنسُ بأهل البَلَادَةِ
وَيَسْتَوْحِشُ مِنْ أَهْلِ الذِّكَاةِ ، فَسُئِلَ عَنْ ذَلِكَ ، فَقَالَ : مَوْوَنَةٌ
التَّحْفُظُ شَدِيدَةٌ .

•
وقال ابنُ مُحَيْرِزٍ : إِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَعْرِفَ وَلَا تُعْرِفَ ،
وَتَسْأَلَ وَلَا تُسْأَلَ ، وَتَمْشِيَ وَلَا يُمْشَى إِلَيْكَ ، فَافْعَلْ .

•
وقال أيوب السَّخْتْيَانِي : مَا أَحَبَّ اللَّهُ عَبْدًا إِلَّا أَحَبَّ أَنْ لَا
يُشْعَرَ بِهِ .

•
وقيل للعتَّابي : مَنْ تُجَالِسُ الْيَوْمَ ؟
قال : مَنْ أَبْصُقُ فِي وَجْهِهِ وَلَا يَغْضَبُ .
قيل له : وَمَنْ هُوَ ؟
قال : الْحَائِطُ .

•
وقيل لِدِعْبِلِ الشَّاعِرِ : مَا الْوَخْشَةُ عِنْدَكَ ؟

قال : النظر الى الناس ؛ ثم أنشأ يقول :

ما أَكْثَرَ النَّاسَ ، لا بَلَّ ما أَقَلَّهُمْ ؛
الله يَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَقُلْ فَنَدَا
إِنِّي لَأَفْتَحُ عَيْنِي ، حينَ أَفْتَحُهَا ،
على كثيرٍ ولكن لا أرى أحدا

وقال ابن أبي حازم :

طَبَّ عَنْ الْأَمْرَةِ نَفْسًا ؛ وَارِضَ بِالْوَحْشَةِ أَنْسَا
مَا عَلَيْهَا أَحَدٌ يَسْ ، وَى ، عَلَى الْحَبْرَةِ ، فَلَسَا

وقال آخر :

قَدْ بَلَوْتُ النَّاسَ طُرًّا ، لَمْ أَجِدْ فِي النَّاسِ حُرًّا
صَارَ أَحْلَى النَّاسِ فِي الْعَا ، يَنْ ، إِذَا مَا ذِيقَ ، مُرًّا

اعجاب الرجل بعلمه

قال عمر بن الخطاب : ثلاث مهلكات : شح مطاع ،
وهوى متبّع ، وإعجاب المرء بنفسه .

وفي الحديث : خيرٌ من العُجب بالطاعة أن لا تأتي طاعةً .

وقالوا : ضاحكٌ مُعترفٌ بذنبه خيرٌ من باكٍ مُدللٍ على ربه .

وقالوا : سيئةٌ تُسيئُك خيرٌ من حسنةٍ تُعجبُك .

وقال الله ، تبارك وتعالى : « أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ
أَنفُسَهُمْ بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ . »

وقال الحسن : ذمُّ الرجل لنفسه في العلانية مدحٌ لها
في السَّرية .

وقالوا : مَنْ أظهر عَيْبَ نفسه فقد زكَّاهَا .

وقيل : أوحى الله الى عبده داود : يا داود، خالِقِ الناسَ

بأخلاقهم ، واحتَجِزَ الإيمان بيني وبينك .

•

وقال ثابت البنانيّ : دخلتُ على داود ، فقال لي : ما جاء بك ؟

قلتُ : أزورك .

قال : ومن أنا حتى تزورني ؟ أمين العُبَّاد أنا ؟ لا والله ، أم من الزُهَّاد ؟ لا والله .

ثم أقبل على نفسه يوبّخها ، فقال : كنتُ في الشَّيْبَةِ فاسقاً ، ثم سَبَّبتُ فصِرتُ مُرائياً ، والله إنّ المُرائيَّ شرٌّ من الفاسق .

•

لقي عابدٌ عابداً ، فقال أحدهما لصاحبه : والله إني أُحبُّكَ في الله .

قال : والله لو اطَّلعتَ على سريري لأُبْعَضْتَنِي في الله .

•

وقال معاوية بن أبي سُفيان لرجل : مَنْ سيّد قومك ؟
قال : أنا .

قال : لو كنتَ كذلك لم تَقُلْه .

•

وقال محمود الورّاق :

تَعْصِي الْإِلَهِ، وَأَنْتَ تُظْهِرُ حُبَّهُ، هَذَا مُحَالٌ فِي الْقِيَاسِ بَدِيعُ
لَوْ كُنْتَ تُضْمِرُ حُبَّهُ لِأَطَاعَتِهِ؛ إِنَّ الْمُحِبَّ لِمَنْ أَحَبَّ مُطِيعُ
فِي كُلِّ يَوْمٍ يَبْتَليكَ بِنِعْمَةٍ مِنْهُ، وَأَنْتَ لَشُكْرُ ذَاكَ مُضِيعُ

الرياء

زيادٌ عن مالك قال : قال النبيُّ ، صلى الله عليه وسلم : إياكم والشُّركَ الأصغرَ .

قالوا : وما الشُّركُ الأصغرُ يا رسول الله ؟
قال : الرِّياءُ .

وقال عبدُ الله بنُ مسعود : سمعتُ النبيَّ ، صلى الله عليه وسلم ، يقول : لا رِياءَ ولا سَمعةَ ، من سَمِعَ سَمِعَ الله به .

وقال صلى الله عليه وسلم : ما أَسْرَ أمرؤُ سريرةً إلا ألبسه الله رِداءها ، إن خيراً فخيرٌ ، وإن شراً فشرٌّ .

وقال لقمان الحكيم لابنه : احذر واحدةً هي أهلٌ للحذر .
قال : وما هي ؟

قال : إياك أن تُريَ الناسَ أنك تَخْشَى الله وقلبك فاجر .

وفي الحديث : من أصلح سريرته أصلح الله علانيته .

وقال الشاعر :

وَإِذَا أَظْهَرْتَ شَيْئاً حَسَناً ، فَلْيَكُنْ أَحْسَنَ مِنْهُ مَا تُسِرُّ
فَمُسِرُّ الْخَيْرِ مَوْسُومٌ بِهِ ، وَمُسِرُّ الشَّرِّ مَوْسُومٌ بِشَرِّ

صلى أشعب ، فخَفَّفَ الصلاة ، فقليل له : ما أَخَفَّ صَلَاتَكَ !
قال : إنه لم يُخَالِطْهَا رِيَاءً .

وصلى رجلٌ من المُرَائِنِ ، فقليل له : ما أَحْسَنَ صَلَاتَكَ !
فقال : ومع ذلك إني صائم .

وقال طاهرُ بن الحُسَيْنِ لأبي عبد الله المَرْوُزِيِّ : كم لك
منذ نزلتَ بالعِراق ؟

قال : منذُ عشرين سنةً ، وأنا أصوم الدهر منذُ ثلاثين سنةً .
قال : أبا عبد الله ، سألتُكَ عن مسألة فأجبْتَنِي عن مسألتين .

الأصمعيُّ قال : أخبرني إبراهيمُ بن القَعْقَاعِ بن حَكِيمٍ ، قال :
أمر عمر بن الخطَّابُ لرجلٍ بكَيْسٍ ، فقال الرجلُ : آخِذُ الحِطِّطِ ؟
قال عمر : ضَعِ الكَيْسَ .

قال رجل للحسن ، وكتب عنده كتاباً : أتعلمني في حلّ
من تراب حائطك ؟

قال : يابن أخى ، ورعك لا يُنكر .

وقال محمود الورّاق :

أظهِرُوا لِلنَّاسِ دِيناً ، وعلى الدِّينار داروا
وله صامُوا وصلُّوا ؛ وله حَجُّوا وزاروا
لو بدا فوق الثُّرَيَّا ، ولهم ريشٌ ، لطاروا

وقال مُساور الورّاق :

شمرَ ثيابَكَ واستعدَّ لِقائِى ، واحكك جبينَكَ للقضاءِ بثومٍ
وعليك بالغَسَوِيِّ ، فاجلس عنده ، حتى تُصِيبَ وَدِيعَةً لِيَسْتِمَ
وإذا دخلتَ على الربيعِ مسلِّماً ، فاخصُصْ سَيَابَةَ مَنْكَ بالتَّسْلِيمِ
وقال :

تصوِّفَ كَيْ يُقالَ له أمين ، وما يَعْنِي التَّصَوُّفَ والأمانَةُ

١ اراد بالقائل : من يقول الخير . احكك جبينك بثوم : تظاهر بكثرة السجود
ليترك أثراً في جبينك .

ولم يُرد الإِلَهَ به ، ولكنْ أراد به الطريقَ الى الحَيَاة

وقال الغَزَّال :

يقولُ ليَ القاضي مُعَاذُ مُشاوراً ،
وولّى امرأ ، فيما يرى ، من ذوي العَدَلِ
قَعِيدَكَ ! ماذا تَحْسَبُ المرءَ فاعلاً؟
فقلت : وماذا يَفْعَلُ الدَّبْرُ في النَّحْلِ؟^١
يَدُقُّ خَلاياها ، ويأكلُ شَهِدَها ،
ويَتْرِكُ لِلدَّبَّانِ ما كان من فَضْلِ

وقال أبو عثمان المازني لبعض من رآه في هتك الله ، عز وجل ، سِتره :

بينا أنا في توبتي مُسْتَعْبِراً ، قد شَبَّهوني بأبي دُودٍ^٢
وقد حملتُ العِلْمُ مُسْتَظْهِراً ، وَحَدَّثُوا عني بِإِسْنادٍ
إِذْ خَطَرَ الشَّيْطَانُ لي خَطَرَةً ، نَكَسْتُ مِنْهَا في أبي جادٍ^٣

١ قعيدك : نشدتك الله . الدبر : الزنابير .

٢ هذا البيت يختلف في وزنه عن البيتين التاليتين ، فهو من الرجز ، وذاتك من السريع .

٣ يقال : وقع فلان في أبي جاد ، أي في اختلاط واضطراب من الأمر .

وقال ابن أبي العتاهية : أرسلني أبي الى صوفيٍّ قد قيّر
إحدى عينيه أسأله عن المعنى في ذلك؛ فقال : النّظرُ الى الدنيا
بكلتا عينيَّ إسراف .

قال : ثم بدا له في ذلك فاتصل الخبر بأبي فكتب اليه :
«مُقيّرَ عينيه ورعاً ، أردتَ بذلك البِدْعَا
خَلَعْتَ ، وأخْبثُ الثَّقَلَيْنِ من صوفيٍّ ، إذا خَلَعَا

يحيى بن عبد العزيز قال : حدّثني نعيم عن إسماعيل ، رجل
من ولد أبي بكر الصديق ، عن وهب بن مُنبّه ، قال : نصب
رجلٌ من بني إسرائيل فخّاً ، فجاءت عُصفورة ، فوقعَت عليه ،
فقالَت : ما لي أراك مُنْحَنِياً ؟

قال : لكثرةُ صلاتي المنحيتُ .

قالت : فما لي أراك باديةً عِظامُك ؟

قال : لكثرةُ صيامي بدّت عِظامي .

قالت : فما لي أرى هذا الصّوفَ عليك ؟

قال : لَزَهَادتي في الدُّنيا لبستُ الصّوف .

قالت : فما هذه العصا عندك ؟

قال : أتوَكِّئُ عليها وأقضي بها حوائجي .

قالت : فما هذه الحَبَّة في يَدِكَ ؟

قال : قُرْبَانٌ إِنْ مَرَّ بِي مِسْكِينٌ نَاولْتُه إِيَّاهُ .

قالت : فَإِنِّي مِسْكِينَةٌ .

قال : فَخُذِيهَا .

فَقَبَضَتْ عَلَى الْحَبَّةِ فَإِذَا الْفَخُّ فِي عُنْقِهَا ، فَجَعَلَتْ تَقُولُ :

قَمِي قَمِي . قال الحسن : تفسيره : لَا عَرَّيْنِي نَاسِكٌ مُرَاءٍ بَعْدَكَ أَبَدًا .

الدعاء

قال النبي ﷺ ، صلى الله عليه وسلم : الدعاء سلاحُ المؤمن ،
والدعاء يرُدُّ القدرَ ، والبرُّ يزيد في العمر .

وقالوا : الدعاء بين الأذان والإقامة لا يُرَدُّ .

وقال النبي ﷺ ، صلى الله عليه وسلم : استقبلوا البلاءَ بالدعاء .

وقال الله تعالى : « ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ . »

وقال تعالى : « فَلَئِنْ أَذْنُ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ . »

وقال عبدُ الله بن عباس : إذا دعوتَ اللهَ فاجعل في دعائك
الصلاة على النبي ﷺ ، صلى الله عليه وسلم ، فإن الصلاة عليه مقبولة ،
والله أكرم من أن يقبل بعضَ دعائك ويرُدَّ بعضاً .

وقال سعيد بن المسيّب: كنتُ جالساً بين القبر والمِنبر،
فسمعتُ قائلاً يقول: اللهم إني أسألك عملاً بارّاً، ورزقاً دارّاً،
وعيشاً قارّاً. فالتفتُ فلم أرَ أحداً.



هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت: كنتُ نائمةً مع
رسول الله، صلى الله عليه وسلم، ليلة النصف من شعبان،
فلما أُلصق جلدي بجِلده أغفيتُ، ثم انتبّهتُ، فإذا رسولُ
الله، صلى الله عليه وسلم، ليس عندي، فأدركني ما يدرك
النساء من الغيرة، فلففتُ مرطِي، أما والله ما كان خِزّاً
ولا قِزّاً ولا ديباجاً ولا قُطناً ولا كِتّاناً.

قيل: فما كان يا أمّ المؤمنين؟

قالت: كان سداه من شعر، ولُحْمته من أوبار الإبل.
قالت: فنَحوتُ إليه أطلبه، حتى أَلقيته كالثوب الساقط
على وجهه في الأرض وهو ساجدٌ يقول في سجوده: سجد لك
خيالي وسوادي، وآمن بك فؤادي، هذه يدي، وما جَنيتُ
بها على نفسي، يا مَنْ تُرَجّى لكل عَظيم، فاغفر لي الذنوب
العَظيم.

١ المرتط: كل ثوب مخيط.

فقلتُ : بأبي أنت وأُمي يا رسول الله ، إنَّكَ لفي شأن ،
وإني لفي شأن .

فَرَفَعَ رَأْسَهُ ثُمَّ عَادَ سَاجِدًا ، فَقَالَ : أَعُوذُ بِوَجْهِكَ الَّذِي
أَضَاءَتْ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ ، وَالْأَرْضُونَ السَّبْعُ ، مِنْ فِجَآةٍ نَقَمْتِكَ ،
وَتَحَوَّلَ عَافِيَتِكَ ، وَمِنْ شَرِّ كِتَابٍ قَدْ سَبَقَ ، وَأَعُوذُ بِرِضَاكَ
مِنْ سُخْطِكَ ، وَبِعَفْوِكَ مِنْ عِقُوبَتِكَ ، وَبِكَ مِنْكَ ، لَا أَحْصِي
ثَنَاءً عَلَيْكَ أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ .

فَلَمَّا انْصَرَفَ مِنْ صَلَاتِهِ تَقَدَّمَتْ أَمَامَهُ حَتَّى دَخَلَتْ الْبَيْتَ
وَلِيَ نَفْسٌ عَالٍ ؛ فَقَالَ : مَا لَكَ يَا عَائِشَةُ ؟
فَأَخْبَرَتْهُ الْحَبْرَ .

فَقَالَ : وَيَسَّحُ هَاتَيْنِ الرَّكْبَتَيْنِ مَا لَبَقِيْتَا فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ !
وَمَسَّحَ عَلَيْهِمَا . ثُمَّ قَالَ : أَتَدْرِينَ أَيَّ لَيْلَةٍ هَذِهِ يَا عَائِشَةُ ؟
فَقُلْتُ : اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ .

فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : هَذِهِ اللَّيْلَةُ لَيْلَةُ النَّصْفِ
مِنْ شَعْبَانَ ، فِيهَا تُؤَقَّتُ الْأَجَالُ ، وَتُثَبَّتُ الْأَعْمَالُ .

•
الْعُثْبِيُّ عَنْ أَبِيهِ قَالَ : خَرَجْتُ مَعَ عُمَرَ بْنِ ذَرٍّ إِلَى مَكَّةَ

فكان إذا لَبَّيْ ١ لم يُلَبَّ أَحَدٌ من حُسن صوته ، فلما جاء
الحَرَم قال : يا ربَّ ، ما زِلنا نَهْبِطُ وَهْدَةً ، ونَصْعُدُ أَكْمَةً ،
ونَعْمَلُو نَشْرًا ٢ ، وَيَبْدُو لَنَا عِلْمٌ ٣ ، حَتَّى جِئْنَاكَ بِهَا نَقِيبَةً ٤
أَخْفَافُهَا ، دَبِيرَةٌ ٥ ظُهُورُهَا ، ذَابِلَةٌ أَسْمَتُهَا ، وليس أعظمُ
المؤونة علينا إِتْعَابَ أبداننا ، ولكن أعظمُ المؤونة علينا أن
تُرْجِعَنَا خَائِبِينَ مِنْ رَحْمَتِكَ ، يا خَيْرَ مَنْ نَزَلَ بِهِ النازلون .

وكان آخرُ يدعو بعِرفات : يا ربَّ ، لم أَعْصِكَ إِذْ عَصَيْتُكَ
جَهْلًا مَنِّي بِحَقِّكَ ، ولا استخفَافًا بِعُقُوبَتِكَ ، ولكنَّ
الثقةَ بِعَفْوِكَ ، والاعتِرَارَ بِسِتْرِكَ المُرْخِي عَلَيَّ ، مع
الشَّقْوَةِ الغالِبةِ ، والقَدَرِ السابقِ ، فالآنَ مِنْ عَذَابِكَ مَنْ
يَسْتَنْقِذُنِي ؟ وَبِحَبْلِ مَنْ أَعْتَصِمُ إِنْ قَطَعْتَ حَبْلَكَ عَنِّي ؟
فيا أَسْفِي عَلَى الوقوفِ غداً بَيْنَ يَدَيْكَ ، إِذَا قِيلَ لِلْمُخَفِّينِ
جوزوا ، ولِلْمُنْذَبِينَ حُطُّوا .

١ لَبَّى : قال : لبيك اللهم لبيك ، وهو من التلبية ، أجابة المنادي ، أي اجابتي
لك يا رب .

٢ النشز : المكان المرتفع .

٣ العلم : الجبل .

٤ نقبة : حافية .

٥ دبيرة : معقورة .

أبو الحسن قال : كان عُرْوَة بن الزُّبَيْر يقول في مُسَاجَاتِهِ
بعد أن قُطِعَتْ رِجْلُهُ ومَاتَ ابْنُهُ : كانوا أَرْبَعَةً ، يَعْنِي بَنِيهِ ،
فَأَخَذَتْ وَاحِدًا وَأَبْقَيْتْ ثَلَاثَةً ، وَكُنَّ أَرْبَعًا ، يَعْنِي يَدَيْهِ
وَرِجْلِيهِ ، فَأَخَذَتْ وَاحِدَةً وَأَبْقَيْتْ ثَلَاثًا ؛ فَلَمَّا ابْتَلَيْتَ لَطَالَمَا
عَافَيْتَ ، وَلَمَّا عَاقَبْتَ لَطَالَمَا أَنْعَمْتَ .

وكان داود إذا دَعَا في جَوْفِ اللَّيْلِ يقول : نَامَتِ الْعِیُونَ ،
وْغَارَتِ النُّجُومُ ، وَأَنْتَ حَيٌّ قَيُّسُومُ ، اغْفِرْ لِي ذَنْبِي الْعَظِيمَ
فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذَّنْبَ الْعَظِيمَ إِلَّا الْعَظِيمُ ، إِلَيْكَ رَفَعْتُ رَأْسِي ،
نَظَرْتُ الْعَبْدَ الذَّلِيلَ إِلَى سَيِّدِهِ الْجَلِيلِ .

وكان من دُعَاءِ يَوْسُفَ : يَا عُدَّتِي عِنْدَ كُرْبَتِي ، وَيَا صَاحِبِي
فِي غُرْبَتِي ، وَيَا غَايَتِي عِنْدَ شِدَّتِي ، وَيَا رَجَائِي إِذَا انْقَطَعَتْ حِيلَتِي ،
اجْعَلْ لِي فَرَجًا وَمَخْرَجًا .

وكان عبدُ اللَّهِ بنُ ثَعْلَبَةَ البَصْرِيُّ يقول : اللَّهُمَّ أَنْتَ مِنْ
حِلْمِكَ تُعْصِي وَكَأَنَّكَ لَا تَرَى ، وَأَنْتَ مِنْ جُودِكَ وَفَضْلِكَ
تُعْطِي وَكَأَنَّكَ لَا تُعْطِي ، وَأَيُّ زَمَانٍ لَمْ يَعْصِكَ فِيهِ سُكَّانُ
أَرْضِكَ فَكُنْتَ عَلَيْهِمُ بِالْعَفْوِ عَوَّادًا وَبِالْفَضْلِ جَوَادًا ؟

وكان من دُعاء علي بن الحسين ، رضي الله عنه : اللهم إني أعوذ بك أن تُحصِّن في مرأى العُيون علانيَّتي ، وتُقبِّح في خَفِيَّات القُلُوب سِرِّيَّتي ، اللهم وكما أسأتُ فأحسنتَ إليَّ ، إذا عدتُ فعُدْ عليَّ ، وارزُقني مُواساة مَنْ قَتَّرتَ عليه ما وسَّعتَ عليَّ .

الشيبانيُّ قال : أصاب الناسَ ببغداد ريحٌ مُظْلِمَةٌ ، فانتهيتُ الى رجل في المسجد وهو ساجد يقول في سُجُوده : اللهم احفظ محمداً في أُمته ، ولا تُشْمِتْ بنا أعداءنا من الأُمم ، فإن كنتَ أخذتَ العوامَ بذنبي ، فهذه ناصيتي بين يديك .

وكان الفضيل بن عياض يقول : إلهي ، لو عَدَّبتني بالنار لم يَخْرُجْ حُبُّكَ من قلبي ، ولم أنسَ أياديكَ عندي في دار الدنيا .

وقال عبدُ الله بنُ مسعود : اللهم وسَّع عليَّ في الدنيا وزهَّدني فيها ، ولا تُزَوِّها عَنِّي وتُرَغِّبني فيها .

مرَّ أبو الدَّرْداء برجل يقول في سُجُوده : اللهم إني سائلٌ

فقير فأغني من سعة فضلك ، خائفٌ مُستجير فأجِرني من عذابك .

الأصمعيُّ قال : كان عطاءُ بنُ أبي رباح يقول في دُعائه :
اللهم ارحم في الدنيا غربتي ، وعند الموت صرعتي ، وفي القبور
وحدتي ، ومقامي غداً بين يديك .

العُتبيُّ قال : حدّثني عبدُ الرحمن بن زياد قال : اشتكى أبي
فكتب إلى أبي بكر بن عبد الله يسأله أن يدعو له ، فكتب إليه :
'حقّ لمن عمِلَ ذنباً لا عُذرَ له فيه ، وخافَ موتاً لا بُدَّ له منه ،
أن يكون مُشفِقاً ، سادعوك ، ولستُ أرجو أن يُستجاب لي
بقوّةٍ في عمَلٍ وبراءةٍ من ذَنْبٍ .

العُتبيُّ قال : كان عبدُ الملك بن مروان يدعو على المنبر :
يا ربّ ، إنّ ذُنُوبي قد كَثُرَتْ وجَلَّتْ عن أن تُوصفَ ، وهي
صغيرةٌ في جَنْبِ عَفْوِكَ ، فاعفُ عَنِّي .

كيف يكون الدعاء

سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ عَنْ أَبِي مَعْبُدٍ عَنْ عِكْرِمَةَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ : الْإِخْلَاصُ هَكَذَا ، وَبَسَطَ يَدَهُ الْيُسْرَى وَأَشَارَ بِإِصْبَعِهِ مِنْ يَدِهِ الْيُمْنَى ؛ وَالدَّعَاءُ هَكَذَا ، وَأَشَارَ بِرَاحَتِيهِ إِلَى السَّمَاءِ ؛ وَالِابْتِهَالُ هَكَذَا ، وَرَفَعَ يَدَيْهِ فَوْقَ رَأْسِهِ وَظَهَّرَهُمَا إِلَى وَجْهِهِ .

سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ قَالَ : دَخَلْتُ عَلَى جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، فَقَالَ لِي : يَا سُفْيَانُ ، إِذَا كَثُرَتْ هُمُومُكَ فَأَكْثِرْ مِنْ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ ، وَإِذَا تَدَارَكَكَ عَلَيْكَ النِّعَمُ فَأَكْثِرْ مِنَ الْحَمْدِ لِلَّهِ ، وَإِذَا أَبْطَأَ عَنْكَ الرَّزْقُ فَأَكْثِرْ مِنَ الْاسْتِغْفَارِ .

وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ : لَا كَبِيرَةَ مَعَ اسْتِغْفَارٍ ، وَلَا صَغِيرَةَ مَعَ إِصْرَارٍ .

وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : عَجَبًا مِمَّنْ يَهْلِكُ وَالسَّجَاةُ مَعَهُ .

قِيلَ لَهُ : وَمَا هِيَ ؟

قَالَ : الْاسْتِغْفَارُ .

دعاء النبي صلى الله عليه وسلم

وأبي بكر الصديق وعمر رضوان الله عليهما

أُمُّ سَلَمَةَ قَالَتْ : كَانَ أَكْثَرُ دُعَاءِ رَسُولِ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ .
الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ قَالَ : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، إِذَا سَلَّمَ مِنَ الصَّلَاةِ يَقُولُ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ .

وكان آخرُ دعاء أبي بكر الصديق ، رضي الله عنه ، في خطبته : اللهم اجعلْ خيرَ زَمانِي آخرَه ، وخيرَ عَمَلِي خَوَاتِمَه ، وخيرَ أَيَّامِي يَوْمَ لِقَائِكَ .

وكان آخرُ دعاء عمر ، رضي الله عنه ، في خطبته : اللهم لا تَدْعَنِي فِي غَمْرَةٍ ، وَلَا تَأْخُذْنِي فِي غِرَّةٍ ، وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْغَافِلِينَ .

الدعاء عند الكرب

عبدُ الله بن مسعود قال : كان رسولُ الله ، صلى الله عليه وسلم ، يقول : ما مِنْ عَبْدٍ أَصَابَهُ هَمٌّ فَقَالَ : اللَّهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ وابنُ عَبْدِكَ وابنُ أُمَّتِكَ ، ناصيتي بيدك ، ماضٍ فيَّ حُكْمُكَ ، عَدْلٌ فيَّ قضاؤُكَ ، أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسمٍ سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ ، أو ذَكَرْتَهُ في كتابِكَ ، أو عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ ، أو اسْتَأْثَرْتَ بِهِ في عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ ، أَنْ تَجْعَلَ الْقُرْآنَ ضِيَاءَ صَدْرِي ، وَرَبِيعَ قَلْبِي ، وَجَلَاءَ حُزْنِي ، وَذَهَابَ هَمِّي ، إِلَّا أَذْهَبَ اللَّهُ هَمَّهُ وَبَدَّلَهُ مَكَانَ حُزْنِهِ فَرَحًا .

وقالوا : كَلِمَاتُ الْفَرَجِ مِنْ كُلِّ كَرْبٍ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْكَرِيمُ الْحَلِيمُ ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ .

الكلمات التي تلقى آدم من ربه

اللهم لا إله إلا أنتَ سبحانك وبحمدك ، عَمِلْتُ سُوءًا
وظلمتُ نفسي فتُبِّ عليَّ إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ .

اسم الله الأعظم

عبدُ الله بن يزيد عن أبيه قال : سَمِعَ النَّبِيَّ ، صلى الله
عليه وسلم ، رجلاً يقول : اللهمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنَّكَ أَنْتَ اللهُ الْوَاحِدُ
الصَّمَدُ الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ .

فقال النبيُّ ، صلى الله عليه وسلم : لقد سألتَ اللهَ بِاسْمِهِ
الْأَعْظَمِ الَّذِي إِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ وَإِذَا سُئِلَ بِهِ أُعْطِيَ .

أسماءُ بنت يزيد عن النبيِّ ، صلى الله عليه وسلم ، أنه قال :
اسمُ اللهِ الْأَعْظَمُ فيما بين الآيتين : « وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا
هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ » ، وفاتحة آل عمران : « اَللّٰهُ لَا إِلَهَ
إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ . »

الاستغفار

شَدَّادُ بْنُ أَوْسٍ عَنِ النَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: سَيِّدُ
الِاسْتِغْفَارِ أَنْ تَقُولَ: اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ خَلَقْتَنِي
وَأَنَا عَبْدُكَ، وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ، أَعُوذُ بِكَ
مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ، أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ وَأُبُوءُ بِذَنْبِي،
فَاغْفِرْ لِي إِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ.

الْأَسْوَدُ وَعَلْقَمَةُ قَالَا: قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ: إِنَّ فِي
كِتَابِ اللَّهِ آيَتَيْنِ مَا أَصَابَ عَبْدٌ ذَنْبًا فَقَرَأَهُمَا ثُمَّ اسْتَغْفَرَ اللَّهَ
إِلَّا غُفِرَ لَهُ: «وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ»
إِلَى آخِرِ الْآيَةِ «وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ
اللَّهُ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا».

أَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ قَالَ: مَنْ قَالَ: أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الَّذِي لَا
إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ. خَمْسَ مَرَّاتٍ غُفِرَ
لَهُ وَلَوْ قَرَأَ مِنَ الزَّحْفِ.

١ أَبُوءُ: أَقْر، وَاعْتَرَفَ.

دعاء المسافر

عِكْرَمَةَ عن ابن عباس قال : كان رسولُ الله ، صلى الله عليه وسلم ، إذا أراد سَفَرًا قال : اللهم أنتَ الصَّاحبُ في السَّفَر ، والحَلِيفَةُ في الحَضَر . اللهم إني أعوذ بك من وعثاء السَّفَر ، وكآبة المُنْقَلَب ، والْحَوْر بعد الكَوْر ، ومن سُوء المَنْظَر في الأهل والمال .

الشَّعْبِيُّ عن أمِّ سَلَمَةَ قالت : كان النبيُّ ، صلى الله عليه وسلم ، إذا خرج في سَفَرٍ يقول : اللهم إني أعوذ بك أنْ أَذِلَّ أو أَضِلَّ أو أَظْلِمَ أو أَظْلَمَ أو أَجْهَلَ أو يُجْهَلَ عليَّ .

وقالت : مَنْ خَرَجَ في طاعة الله فقال : اللهم إني لم أَخْرُجْ أَشْرًا ولا بَطَرًا ولا رِيَاءَ ولا سُمْعَةً ، ولكني خَرَجْتُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِكَ واتِّقَاءَ سُخْطِكَ ، فَأَسْأَلُكَ بِحَقِّكَ على جَمِيعِ خَلْقِكَ أَنْ تَرْزُقَنِي مِنَ الْخَيْرِ أَكْثَرَ مِمَّا أَرْجُو ، وَتَصْرِفَ عَنِّي مِنَ الشَّرِّ أَكْثَرَ مِمَّا أَخَافُ ؛ اسْتَجِيبْ لَهُ بِإِذْنِ اللَّهِ .

الدعاء عند الدخول على السلطان

سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : إذا دخلت على السلطان وهو مهيبٌ تخاف أن يسطو عليك فقل : الله أكبر وأعزّ مما أخاف وأحذر ، اللهم ربّ السموات السبع وربّ العرش العظيم ، كن لي جاراً من عبدك فلان وجنوده وأشياعه وأتباعه ، تبارك اسمك وجل ثناؤك وعزّ جارك ولا إله غيرك .



أبو الحسن المدائني قال : لما حجّ أبو جعفر المنصور مرّ بالمدينة فقال للربيع : عليّ بجعفر بن محمد ، قتلتني الله إن لم أقتله . فمطّل به ، ثم ألحّ فيه ، فحضر . فلما كشف الستور بينه وبينه ومثّل بين يديه ، همّس جعفر بشفّتيه ، ثم تقرب وسلم ، فقال : لا سلم الله عليك ، يا عدوّ الله ، تعمّل عليّ الغوائل في ملكي ، فتمكّني الله إن لم أقتلك .

فقال له جعفر : يا أمير المؤمنين ، إن سليمان ، صلى الله عليه وسلم ، أعطى فشكر ، وإن أيوب ابتلي فصبر ، وإن يوسف ظلم فغفر ، وأنت على إرثٍ منهم وأحقّ من تناسى بهم .

فَنَكَسَ أَبُو جَعْفَرٍ رَأْسَهُ مَلِيًّا ثُمَّ رَفَعَ إِلَيْهِ رَأْسَهُ وَقَالَ :
إِلَيَّ يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ ، فَأَنْتَ الْقَرِيبُ الْقَرَابَةِ ، وَإِنَّكَ ذُو الرَّحِمِ
الْوَاشِجَةِ ، السَّلِيمِ النَّاحِيَةِ ، الْقَلِيلِ الْغَائِلَةِ ؛ ثُمَّ صَافَحَهُ بِيَمِينِهِ
وَعَانَقَهُ بِيَسَارِهِ وَأَجْلَسَهُ مَعَهُ عَلَى فِرَاشِهِ وَانْحَرَفَ لَهُ عَنْ بَعْضِهِ
وَأَقْبَلَ عَلَيْهِ بَوَجْهِهِ يُسَائِلُهُ وَيُحَادِّثُهُ ، ثُمَّ قَالَ : عَجَّلُوا لِأَبِي
عَبْدِ اللَّهِ إِذْنَهُ وَكُسُوتَهُ وَجَائِزَتَهُ .

قَالَ الرَّبِيعُ : فَلَمَّا خَرَجَ وَأُسْدِلَ السِّتْرُ أَمْسَكَتُ بِثَوْبِهِ
فَارْتَاعَ ، وَقَالَ : مَا أَرَانَا يَا رَبِيعُ إِلَّا قَدْ حُبِسْنَا .
قُلْتُ : هَذِهِ مِنِّْي لَا مِنْهُ .

قَالَ : فَذَلِكَ أَيْسَرَ ، قُلْ حَاجَتَكَ .

قُلْتُ : إِنِّي مِنْذُ ثَلَاثٍ أَدَافِعُ عَنْكَ وَأُدَارِي عَلَيْكَ ، وَرَأَيْتُكَ
إِذْ دَخَلْتَ هَمَسْتَ بِشَفَتَيْكَ ، ثُمَّ رَأَيْتُ الْأَمْرَ انْجَلَى عَنْكَ ، وَأَنَا
خَادِمُ سُلْطَانٍ وَلَا غِنَى بِي عَنْهُ ، فَأَحِبُّ مِنْكَ أَنْ تُعَلِّمَنِيهِ .

قَالَ : نَعَمْ ، قُلْ : اَللَّهُمَّ احْرُسْنِي بِعَيْنِكَ الَّتِي لَا تَنَامُ ،
وَاصْنُفْنِي بِكَتِفِكَ الَّذِي لَا يُرَامُ ، وَلَا أَهْلِكَ وَأَنْتَ رَجَائِي ،
فَكَمْ مِنْ نِعْمَةٍ أَنْعَمْتَهَا عَلَيَّ قَلَّ عِنْدَهَا شُكْرِي فَلَمْ تَحْرَمْنِي ،
وَكَمْ مِنْ بَلِيَّةٍ ابْتَلَيْتَنِي بِهَا قَلَّ عِنْدَهَا صَبْرِي فَلَمْ تَخْذُلْنِي ، اَللَّهُمَّ
بِكَ أَدْرَأُ فِي نَحْرِهِ ، وَأَعُوذُ بِخَيْرِكَ مِنْ شَرِّهِ .

١ أَدْرَأُ : أَدْفَعُ شَدِيدًا .

الدعاء على الطعام

مَنْ قَالَ عَلَى طَعَامِهِ : بِسْمِ اللَّهِ خَيْرِ الْأَسْمَاءِ فِي الْأَرْضِ وَفِي السَّمَاءِ ، وَلَا يَضُرُّهُ مَعَ اسْمِهِ ذَاءٌ ، اللَّهُمَّ اجْعَلْ فِيهِ الدَّوَاءَ وَالشِّفَاءَ ؛ لَمْ يَضُرَّهُ ذَلِكَ الطَّعَامُ كَأَنَّ مَا كَانَ .

وَكَانَ النَّبِيُّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، إِذَا فَرَغَ مِنْ طَعَامِهِ قَالَ : الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي مَنَّ عَلَيْنَا وَهَدَانَا ، وَأَطْعَمَنَا وَأَرْوَانَا ، وَكَلَّ بِلَاءَ حَسَنِ أَبْلَانَا .

الدعاء عند الاذان

مَنْ قَالَ إِذَا سَمِعَ الْأَذَانَ : رَضِيتُ بِاللَّهِ رَبًّا ، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا ، وَبِمُحَمَّدٍ نَبِيًّا ؛ غُفِرَ لَهُ ذُنُوبُهُ .

وَقَالَ النَّبِيُّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إِذَا سَمِعْتَ الْأَذَانَ فَقُولُوا مِثْلَ مَا يَقُولُ الْمُؤَذِّنُ .

الدعاء عند الطيرة

قال النبي ﷺ ، صلّى الله عليه وسلّم : مَنْ رَأَى مِنَ الطَّيْرِ شَيْئاً يَكْرَهُهُ فَقَالَ : اللَّهُمَّ لَا طَيْرَ إِلَّا طَيْرُكَ ، وَلَا خَيْرَ إِلَّا خَيْرُكَ ، وَلَا إِلَهَ غَيْرُكَ ؛ لَمْ يَضِرَّهُ .

الساعة التي يستجاب فيها الدعاء

الْفُضَيْلُ عَنْ أَبِي حَازِمٍ عَنْ أَبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَنْ نَاسٍ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، أَنَّهُمْ أَجْمَعُوا أَنَّ السَّاعَةَ الَّتِي يُسْتَجَابُ فِيهَا الدُّعَاءُ آخِرُ سَاعَةٍ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ .

التعويد

أنس بن مالك قال : كان النبي ، صلى الله عليه وسلم ، يقول : اللهم إني أعوذ بك من عِلْمٍ لا يَنْفَعُ ، وَقَلْبٍ لا يَخْشَعُ ، ودُعَاءٍ لا يُسْمَعُ ، ونَفْسٍ لا تَشْبَعُ . اللهم إني أعوذ بك من هذه الأربع .

وقال صلى الله عليه وسلم : من قال إذا أمسى وأصبح : أعوذ بكلمات الله التامّات المباركات التي لا يجاوزهنّ برّ ولا فاجر ، من شرّ ما ينزل من السماء ، ومن شرّ ما يعرّج فيها ، ومن شرّ ما ذرأ^١ في الأرض وما يخرج منها ؛ لم يضره شيء من الشياطين والهوام .

مسروق عن عائشة ، رضي الله عنها ، قالت : كان رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، يُعوّذ الحسن والحسين ، رضي الله عنهما ، بهذه الكلمات : أعينكما بكلمات الله التامّة ، من كل

١ ذرأ : خلق .

عينِ لامة^١، ومن كل شيطان وهامة .

وكان إبراهيم^٢، صلى الله عليه وسلم ، يُعوّذ بها إسماعيل وإسحاق .

وقال أعرابي يصف دعوة :

وسارية لم تسر في الأرض ، تبْتَغِي
مَحَلًّا ، ولم يَقْطَعْ بها البِيدَ قاطعُ

سَرَتْ حيث لم تسر الرُّكَّابُ ، ولم تُنْشَخْ
لِوَرْدٍ ، ولم يَقْصُرْ لها القَيْدَ مانعُ

تَظَلُّ وراءَ اللَّيْلِ ، والليلُ ساقطُ
بأرواقه ، فيه سَمِيرٌ وهاجعُ^٢

تَفْتَحُ أبوابُ السماءِ لَوَفْدِها ،
إذا قَرَعَ الأبوابَ مِنْهُنَّ قارِعُ

إذا سألَتْ ، لم يُرَدِّدْ اللهُ سُؤْلَها
على أَهْلِها ، واللهُ راءٍ وِسامعُ

١ الامة : المصيبة بسوء .

٢ أرواق الليل : ظلمته .

وإني لأرجو الله ، حتى كأننا
أرى بجميل الظنّ ما الله صانع

ومن قولنا في هذا المعنى :

بُنيّ لئن أعيا الطيّب ، ابن مُسلم ،
ضناك ، وأعيا ذا البيان المسجع

لأبتسهن تحت الظّلام بدعوة ،
متى يدعها داع ، الى الله ، يُسمع

يُقلقل ما بين الضلوع نسيجها ،
لها شافع من عبّرة وتضرّع

إلى فارح الكرب المُجيب لمن دعا ،
فزعتُ بكربي ، إنه خير مَفزع

فيا خيرَ مدعوٍّ دعوتك ، فاستمع ،
وما لي شفيع غير فضلك ، فاشفع

سحر البيان

٥	.	.	.	كتاب الزمردة في المواعظ والزهد
١٠	.	.	.	مواعظ الانبياء عليهم السلام
١٥	.	.	.	من وحي الله تعالى الى انبيائه
١٩	.	.	.	مواعظ الحكماء
٢٥	.	.	.	مكاتبة جرت بين الحكماء
٢٩	.	.	.	مواعظ الآباء للأبناء
٤٠	.	.	.	مقامات العباد عند الخلفاء : مقام صالح بن عبد الجليل
٤١	.	.	.	مقام رجل من العباد عند المنصور
٤٦	.	.	.	مقام الاوزاعي بين يدي المنصور
٤٩	.	.	.	كلام ابي حازم لسليمان بن عبد الملك
٥١	.	.	.	مقام ابن السماك عند الرشيد
٥٣	.	.	.	كلام عمرو بن عبيد عند المنصور
٥٤	.	.	.	خبر سفيان الثوري مع ابي جعفر
٥٥	.	.	.	كلام شبيب بن شيبه للمهدي
٥٦	.	.	.	من كره الموعدة لبعض ما يكون فيها من الغلاظ او الخرق
٦٢	.	.	.	كلام الزهاد واخبار العباد
٦٨	.	.	.	كيف يكون الزهد
٧٠	.	.	.	صفة الدنيا
٨١	.	.	.	قولهم في الخوف
٨٦	.	.	.	قولهم في الرجاء

٨٩	.	.	.	.	قولهم في التوبة
٩٤	.	.	.	.	المبادرة بالعمل الصالح
٩٧	.	.	.	.	العجز عن العمل
١٠٠	.	.	.	.	قولهم في الموت
١١٢	.	.	.	.	قولهم في الطاعون
١١٩	.	.	.	.	من احب الموت ومن كرهه
١٢٢	.	.	.	.	التهجيد
١٢٤	.	.	.	.	البكاء من خشية الله عز وجل
١٢٦	.	.	.	.	النهي عن كثرة الضحك
١٢٧	.	.	.	.	النهي عن خدمة السلطان واتبان الملوك
١٣٣	.	.	.	.	القول في الملوك
١٣٥	.	.	.	.	بلاء المؤمن في الدنيا
١٣٧	.	.	.	.	كتمان البلاء اذا نزل
١٤٠	.	.	.	.	القناعة
١٥٣	.	.	.	.	الرضا بقضاء الله
١٥٥	.	.	.	.	من قتر على نفسه وترك المال لو ارثه
١٥٩	.	.	.	.	نقصان الخير وزيادة الشر
١٦٠	.	.	.	.	العزلة عن الناس
١٦٣	.	.	.	.	اعجاب الرجل بعلمه
١٦٦	.	.	.	.	الرياء
١٧٢	.	.	.	.	الدعاء
١٧٩	.	.	.	.	كيف يكون الدعاء
					دعاء النبي صلى الله عليه وسلم وأبي بكر الصديق وعمر
١٨٠	.	.	.	.	رضوان الله عليهما

١٨١	.	.	.	.	الدعاء عند الكرب
١٨٢	.	.	.	.	الكلمات التي تلقى آدم من ربه - اسم الله الأعظم
١٨٣	.	.	.	.	الاستغفار
١٨٤	.	.	.	.	دعاء المسافر
١٨٥	.	.	.	.	الدعاء عند الدخول على السلطان
١٨٧	.	.	.	.	الدعاء على الطعام - الدعاء عند الاذان
١٨٨	.	.	.	.	الدعاء عند الطيرة - الساعة التي يستجاب فيها الدعاء
١٨٩	.	.	.	.	التعويد

العقد الفريد

١	السلطان وعدل ساعة
٢	تحت ظلال القنا
٣	الأيدي السخية
٤	وفود العرب
٥	مخاطبة الملوك
٦	أبناء النور ١
٧	أبناء النور ٢
٨	أبناء النور ٣
٩	أمثال العرب
١٠	سحر البيان
١١	دموع الأحران
١٢	أنساب العرب
١٣	من خيام الأعراب
١٤	فيض الخواطر
١٥	أدب المنابر
١٦	الكتابة والكتّاب

- ١٧ أخبار الخلفاء ١
١٨ أخبار الخلفاء ٢
١٩ أخبار الخلفاء ٣
٢٠ أمراء المسلمين
٢١ أيام العرب ١
٢٢ أيام العرب ٢
٢٣ طرائف الشعراء ١
٢٤ طرائف الشعراء ٢

892.78:I1314ikA:v.10:c.1

البستاني، كرم

العقد الفريد

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES



01042091

American University of Beirut



892.78

I1314ikA

v.10

General Library

892.708
I132ikaA
v.10
c.1